الرَّابطَة القلبية

سنة الطبع
١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣

التنضيد والطباعة
مطبعة أنوار دجلة

الرَّابطَة القلبية

سعد اللّه أحمد عارف

بسم الله الرحمن الرحيم

هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى

وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ

الإهـداء

راسخٌ في علوم الروح والجسم، يترعرع في أرباض كردستان وينهل العلم والحكمة في رياضها الجميلة ثم يستقر في بغداد دار الحرب والسلام، مربيا وأستاذا مجتهدا، فيصوغ أسفارا تنشر الخير والندى ويسقي الأنفس رحيقا من مشكاة الكتاب والسنة فتحيا بإذن الله تبارك وتعالى .

إلى مقام سيدي حضرة الشيخ الدكتور عبدالله مصطفى الهرشمي طيب الله تعالى روحه وذكره وثراه القائل :

يا غيث تسقي كما نسقي على ثقة

أنت الحقول ونحن الأنفس الزهرا

نداك يربي لعيش الناس بلغته

أمّا ندانا فيحيي القلـــب والفكـرا

(نفحات الحياة: ص: ١١)

خُويدِمٌ جاوز قدره

سعد الله أحمد عارف البرزنجي

شُكر وثنـاء

بعد حمد الله تعالى وشكره القائل في محكم كتابه :

﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ النمل: ١٩.

والصلاة والسلام على رسوله الأمين سيدنا محمد القائل:

(مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ) مسند أحمد (١٢/ ٤٧٢).

أتقدم بخالص شكري الموصول بالامتنان والثناء لسيدي حضرة الشيخ الدكتور محمد الهرشمي، سائلاً الله تعالى أن يجزيه خير الجزاء ويمن عليه بالصحة والعافية والهناء .

كما وأتقدم بالشكر والتقدير للفاضلين الذين صمما غلاف الكتاب الأستاذ الفنان: غسان محسن، والخطاط: محمود الملاَّ .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

والحمد لله رب العالمين

يا غافر الذنب
١٤١٧

تمهيـد

الحمد لله الذي شرح صدور الصّادقين لذكره وعمّر قلوبهم بألطاف فضله، وقرّبهم سبحانه وتعالى إلى جنابه بمنّه وجوده، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة لخلقه سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وبعد :

فهذه صفحات تتحدث عن الرابطة القلبية في الشريعة الإسلامية رتبتها على مقدمة وفصول ثلاثة وخاتمة، فالمقدمة ذكرت فيها نبذة عن أهمية القلوب وبعض الأسباب لاختيار هذا الموضوع، وبيّنت في:

الفصل الأول معنى الرابطة القلبية لغة وبعض مواضع ورود هذا اللفظ في الكتاب العزيز والسنة المطهرة، ثم عرفتها اصطلاحا مبينا التعريف بشرح فيه نوع تفصيل بأسلوب السؤال والجواب .

ولما كانت الرابطة القلبية عملاً روحياً وتواصلاً بين المرشد الربّاني والمسترشد، عرّفت المرشد وذكرت بعض خصائصه وما يجب في حقه وذكرت نبذة عن التأثير الروحي في جانبيه الإيجابي والسلبي وذلك في الفصل الثاني .

وفي الفصل الثالث بينت أن الإيمان بالروح وآثارها أمر مجمع عليه بين علماء الإسلام مع بيان حكم الرابطة .

وأما الخاتمة فقد ذكرت فيها بعض النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث وبعض الوصايا والمراجع التي استفدت منها .

واللهَ تعالى أسال أن يجعله خالصا لوجهه الكريم وينفع به المؤمنين والمؤمنات إنه ولي ذلك والقادر عليه جل جلاله وعم نواله .

إعمل لنفسك صالحا لا تحتفل بظهور قيل في الأنـــام وقـــالِ
فالخلق لا يُرجى اجتماع قلوبهم لابـــد مـــن مـــثـــنٍ عليك وقـــالِ

(تاريخ قضاة الأندلس :١/ ٥٣)

أفقر الورى لعفو المولى
سعد الله أحمد عارف

مُقدمة

أ- أهمية القلب :

ورد لفظ القلب في كتاب الله تعالى وسنة نبيه الكريم صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم في مواضع كثيرة دل على أهميته وضرورة العناية به، والتماس بركته ووسائل استثماره والمحافظة عليه، ومنها:

قوله تعالى ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ آل عمران: ١٥٤.

وقوله جل جلاله: ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ الأعراف: ١٠٠.

وقوله سبحانه: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ الأعراف: ١٧٩.

وقوله عزَّ من قائل: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ ق: ٣١ - ٣٣.

وقوله جل جلاله وعم نواله: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ الشعراء: ٨٨ - ٨٩.

وقوله تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ الفتح: ١٨.

وقوله جل جلاله: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧﴾ الحجرات: ٧.

وقوله عليه وعلى آله وصحبه الصلاة والسلام : "إن الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم" (صحيح الإمام مسلم: ٨/ ١١) - رحمه الله تعالى -) .

وقوله بأبي وأمي ونفسي هو صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب" متفق عليه. (صحيح البخاري: ١/ ٥٦، وصحيح مسلم: ٥/ ٥٠).

والقرآن الكريم وجه المهتدين بضرورة الالتجاء إلى الله تعالى لحفظ قلوبهم من الزيغ وغيره من الصفات المؤذية فعلمهم هذا الدعاء المؤثر: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨﴾ آل عمران: ٨ .

وتحدث عن صفات القلب الحميدة كالإنابة، والخشوع، واللّين، والوجل وغيرها، كما تحدث عن صفاته الذميمة كالطبع، والغفلة، والغيظ، والعمى، وغيرها .

ب- سبب إختيار الموضوع:

فهذه النصوص التي ذكرت في الفقرة السابقة وغيرها وهي كثيرة جدا تدل على أهمية القلب وهي السبب الأول لإختيار هذا البحث .

وقد تفضّل الله سبحانه وتعالى عليّ بصحبة الصّادقين والمهتمين بشؤون الأمة الإسلامية بشكل خاص وبقية الناس بشكل عام فوجدت منهم توجيها

وإرشادا إلى ضرورة تفعيل الطاقات الخيرة في الروح الإنسانية وضرورة الإستفادة من قوة قلوبٍ قرّبها الله سبحانه وتعالى إليه وذلك بالصحبة الصالحة القائمة على رباط المحبة (الرابطة الشريفة) فقد سألني كثير من المسلمين والمسلمات عنها فكان هذا السبب الثاني لإختيار هذا البحث .

ولما أكرمني الله تبارك وتعالى بممارسة هذا العمل القلبي وجدت منافعه العظيمة في إحياء قلبي بذكر الله سبحانه فأحببت أن أوضحه وأقدمه لإخواني وأخواتي تحت أضواء قول سيد السادات حبيبنا محمد – صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ربُّ الأرض والسماوات –: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ" متفق عليه (صحيح البخاري: ١/ ١٤، وصحيح مسلم: ١/ ٤٩) .

فكان هذا السبب الثالث لإختياره.

وضعف الثقافة الروحية عند المسلمين سببٌ رابع لكتابة هذا البحث يضاف إلى الأسباب السابقة.

وبعد هذا فقد آن الأوان للدخول الى فصول هذا البحث تحت أضواء مشكاة الكتاب والسنة .

فيا ربنا نسألك أن تحيي قلوبنا بنور كتابك الكريم وهدي حضرة خاتم النبيين عليه وآله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

❊ ❊ ❊

هذا من فضل ربي

الفصل الأول

معنى الرابطة لغةً واصطلاحاً
وبعض مواضع ورود هذا اللفظ
في الكتاب والسنة

- وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الرابطة لغةً

المبحث الثاني: بعض المواضع التي ورد فيها هذا اللفظ

المبحث الثالث: الرابطة اصطلاحاً

رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي
وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي

المبحث الأول: تعريف الرابطة لغةً :

هي من مصطلحات السادة الكرام علماء الإسلام الذين يعنون بالتزكية والعمل الروحي الإسلامي - رضي الله تعالى عنهم وعنكم -، ولا مشاحّة في الاصطلاح .

وهي في اللغة: إسم من الرّبط، وهو الشدُّ والتثبيت واللزوم، "(المحيط في اللغة: ٩/ ١٦٨، ومختار الصحاح: ١/ ٢٦٧).

فالصداقة رابطة بين صديقين، والمحبة رابطة بين متحابين، والتعليم رابطة بين الأستاذ والتلميذ، والتوجّه الروحي رابطة بين المرشد المدرّب والسالك المتدرّب، فالرابطة هي الصلة بين شيئين أو إنسانين، فإذا كانت في مجال علم الروح فهي بذلك صلة روحانية" (معالم الطريق: ص ٣٠٥ - ٣٠٦) .

المبحث الثاني: بعض المواضع التي ورد فيها هذا اللفظ:

وقد وردت هذه اللفظة ببعض مشتقاتها في مواضع من كتاب الله تعالى وأحاديث سيدنا رسول الله - صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم - ، أتشرف ببعضها مبيناً بعض ما يعين على فهم الرابطة من خلالها .

الموضع الأول:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ آل عمران: ٢٠٠.

ففي هذه الآية الكريمة ينادي الله تعالى على عباده المؤمنين بهذه الصفة المحببة إلى قلوبهم، صفة الإيمان التي تستنهض هممهم وتحفّز طاقاتهم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ ليذكّر سبحانه وتعالى بمقتضيات الإيمان ومنها تطبيق الأوامر واجتناب النواهي، لأن الإيمان عقد بين المؤمن وخالقه سبحانه، وهو من أقدس الروابط التي يعرفها الناس "اصْبِرُواْ" أي: احبسوا أنفسكم على ما تكره وتستثقل، "وَصَابِرُواْ" وهي مفاعلة، أي قاوموا دواعي عدم الصبر كتأخر النصر وشدة الفتن الظاهرة والباطنة، " وَرَابِطُواْ " أي: إستمروا على الصبر والمصابرة واثبتوا في المواضع التي تحمي دينكم، لأن المرابطة: هي الثبات واللزوم والإقامة على سبل النجاة والنجاح، فقد يصبر العبد ولا يصابر، وقد يصابر ولا يرابط، وقد يصبر ويصابر ويرابط من غير تعبّد بالتقوى، كما هو حال بعض أهل الضلال، فالمرابطة: هي لزوم الثغر الذي يُخشى دخول العدو منه، وفيها أجر عظيم من الله الكريم سبحانه، فالآية بشرت بالفلاح " لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "، وهي كلمة جامعة لكل خير يتمناه الإنسان في دنياه وأُخراه .

وسيدنا رسول الله – صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم – ورد عنه أنه قال: "رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها " (صحيح البخاري: ٣/ ١٠٥٩).

وفي رواية للإمام مسلم – رحمه الله تعالى – : "رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الذي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ

رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفَتَّانَ" (صحيح مسلم :٦/ ٥٠) .

وعنه – صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم – : " كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن من فتنة القبر" (سنن الترمذي: ٤/ ١٦٥) .

وجهاد الرباط صورة من صور الجهاد في الإسلام لها أحكامها وآدابها، لحقائقه راجع (معالم الطريق في عمل الروح الإسلامي) (ص١٨٩-٢٠٠) .

ولا تقتصر المرابطة على هذه الصورة فقط بل تتعداها إلى غيرها، وأجمل ما اطلعت عليه هو ما كتبه ونقله العالم المفضال إبن القيم الجوزية – رحمهُ الله تعالى – في بعض كتبه أنقل منه ما يسمح به المقام وتجلو به الأفهام :

" قيل: اصبروا بنفوسكم على طاعة الله، وصابروا بقلوبكم على البلوى في الله، ورابطوا بأسراركم على الشوق إلى الله، وقيل: اصبروا على النعماء، وصابروا على البأساء والضراء، ورابطوا في دار الأعداء، واتقوا إله الأرض والسماء لعلكم تفلحون .

والمرابطة الثبات وإعداد العدة، كما أن الرباط لزوم الثغر لئلا يهجم عليه الشيطان فيملكه أو يخربّه أو يشعثه .

وعلّم سبحانه وتعالى عباده كيفية هذه الحرب والجهاد، فجمعها لهم في أربع كلمات: ﴿ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ ولا يتم أمر هذا الجهاد إلا بهذه الأمور الأربعة، فلا يتم له الصبر إلا بمصابرة العدو وهي مقاومته ومنازلته، فإذا صابر عدوّه إحتاج إلى أمر آخر وهو المرابطة: وهي لزوم ثغر القلب وحراسته لئلّا يدخل منه العدو، ولزوم ثغر، العين، والأذن،

واللسان، والبطن، واليد، والرجل .

فهذه الثغور منها يدخل العدو، فيجوس خلال الدّيار، ويفسد ما قدر عليه، فالمرابطة لزوم هذه الثغور، ولا يخلي مكانها فيصادف العدو ثغراً خالياً فيدخل منه، فهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ خير الخلق بعد النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والتسليم وأعظمهم حماية وحراسة من الشيطان وقد أخلوا المكان الذي أمروا بلزومه يوم أحد، فدخل منه العدو فكان ما كان، وجماع هذه الثلاثة وعمودها تقوى الله تعالى، فلا ينفع الصبر ولا المصابرة ولا المرابطة إلّا بالتقوى، ولا تقوم التقوى إلّا على ساق الصبر ...أهـ" (مدارج السالكين: ٢/ ١٥٩، الجواب الكافي: ١/ ٦٦، وفيض القدير للمناوي: ٤ / ٢٣٤).

تحصّل لكم أيها الأحباب من هدايات هذه الآية أن المرابطة لا تنحصر في لزوم الثغور على تخوم دار الإسلام، بل تتعداها إلى عالم المعنويات كما هو واضح من كلام الشيخ ابن القيم رحمة الله تعالى عليه .

ومبين في حديث سيدنا رسول الله – صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم–: "وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط" (صحيح مسلم: ١/ ١٥١) .

الموضع الثاني:

قال تعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾ الأنفال: ١١ .

وهذه الآية تنقلنا إلى أجواء غزوة بدر الكبرى، قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى في قوله سبحانه: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ .

قال ابن عباس رضي الله عنهما "نزل النبي ﷺ يوم بدر وبينه وبين الماء رملة، وغلبهم المشركون على الماء فأصاب المسلمين ظمأ، وجعلوا يصلّون محدثين وألقى الشيطان في قلوبهم الوسوسة يقول تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلّون محدثين، فأنزل الله عليهم مطراً فشربوا وتطهّروا، واشتد الرمل حين أصابه المطر، وأزال الله رجز الشيطان وهو وسواسه حيث قال: قد غلبكم المشركون على الماء، وقال ابن زيد: رجز الشيطان: كيده، حيث أوقع في قلوبهم أنه ليس لكم بهؤلاء القوم طاقة .... اهـ" (زاد المسير: ٣/ ٣٢٨).

وما قيل هنا يقال عند قول الله تعالى في قصة أصحاب الكهف – رضي الله تعالى عنهم وعنكم –: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ الكهف: ١٤.

وعند قوله سبحانه حكاية عن أم موسى عليه الصلاة والسلام ورضي الله تعالى عنها: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ القصص: ١٠.

فمن هدايات هذا المبحث :

١ – أن الله سبحانه وتعالى يجعل الأمن والطمأنينة في قلوب أوليائه بما شاء من أسباب، بالأمطار، والملائكة، والصالحين .....وغيرها .

٢ – وأن الشيطان له قابلية التأثير على القلوب إذا شاء الله تعالى إبتلاءً للعبد واختباراً له، ماذا يفعل ؟

٣- وأنه إذا تأثرت القلوب تظهر آثارها على الجوارح سلباً وإيجاباً:
﴿وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴿١١﴾﴾.
٤- وبدلالة النص فالربط معنى من المعاني القلبية له أثره البالغ في الثبات.

فالمستفاد من هذه الآيات في موضوع الرابطة :
هو تلك العلاقة الوثيقة بين القلوب بالمعنى الروحي .

المبحث الثالث: الرابطة إصطلاحا:
هي الإفادة من روحانية المرشد للتقوّي على ذكر الله تعالى بإذنه سبحانه .
ولكي يكون التعريف واضحاً أشرح بعض مفرداته هنا بصيغة السؤال والجواب مستعينا بالكريم الوهاب جل جلاله:

س١ / هل يجوز أن نستفيد من مخلوق ؟
ج/ قد يكون السؤال غريباً، لأننا بالفطرة نعلم جواز ذلك فكل واحد يستفيد من الآخر.
قال تعالى: ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ الزخرف: ٣٢.
قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية "وَقَوْله جَلَّتْ عَظَمَته": ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ﴾ قيل معناه ليسخر بعضهم بعضا في الأعمال

لاحتياج هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، قاله السدي وغيره .

وقال قتادة والضحاك - رحمهما الله تعالى - ليملك بعضهم بعضا وهو راجع إلى الأول: ثم قال عز وجل: ﴿ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ أي رحمة الله بخلقه خير لهم مما بأيديهم من الأموال ومتاع الحياة الدنيا.

(تفسير ابن كثير: ٤/ ١٥٤)

وقال الشاعر :

الناس للناس من بدو ومن حضر بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

(موسوعة الشعر الإسلامي: ٣٣٩/ ١٤٩)

فنحن نستفيد من المخلوقات بشكل عام سواء كانت المنفعة مادية أو معنوية، ولأن الله تعالى جعل الأصل في الأشياء الإباحة ثم استثنى أشياء فجعل حكمها التحريم أو الكراهة، فقال سبحانه:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ ﴾ إبراهيم: ٣٢.

فما معنى التسخير إن لم نستفد من المسَخّر شيئا ؟ ثم قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾ البقرة: ١٧٣ .

وقال سيدنا رسول الله - صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم - : "إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثا ؛ يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال،

وكثرة السؤال، وإضاعة المال" (رواه مسلم: ٥/ ١٣٠).

فالإفادة والإستفادة من المخلوقات مباحة ويمكن جعلها قربات إذا التزمنا منهج الله تعالى فيها، بأن كسبناها بالطرق الشرعية وحمدنا الله تعالى وشكرناه وأدينا ما وجب علينا فيها من الحقوق ولسان حالنا يقول: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ النحل: ٥٣.

س٢ / ما المقصود بالروحانية ؟

ج / المقصود بها تلك الطاقة الروحية الخيّرة التي يمنحها الله تعالى لعباده المؤمنين كلٌّ حسب تقواه وقربه من مولاه جل في علاه، وأخذه بأسباب دنياه وأخراه . وديننا العظيم جاءنا بثقافة روحية فذّة أصابها الهزال في حياة الكثيرين – مع الأسف – بسبب إنسياقهم وراء التيارات المادية التي روّج لها الأشرار في كل الأقطار، والمشتكى إلى الله الغفّار .

س٣ / هل نؤمن بالروح ؟ ولماذا ؟

ج/ نعم نؤمن بالروح على أنه خلق من خلق الله تعالى فيه طاقات وله آثار، فالروح مذكور في القرآن والسنة، قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ الإسراء: ٨٥ .

وقال عز وجل : ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ ﴾ غافر: ١٥.

وقال سيدنا رسول الله – صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه

وسلم - : "كنت نبيًا وآدم بين الروح والجسد" (الطبقات الكبرى لابن سعد: ١/ ١٤٨، والمعجم الكبير: ٢٠ / ٣٥٣).

وقال صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم: "يجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة (العلقة: القطعة من الدم الغليظ الجامد)، مثل ذلك، ثم يكون مضغة (المضغة: القطعة من اللحم)، مثل ذلك، ثم يبعث إليه ملكاً، فيُؤْمَرُ بأربع كلمات، فيقال: اكتب رزقه وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح" (صحيح البخاري: ٨/ ٢٥٩).

وكلمة الروح ذكرت في الشرع الشريف لمعانٍ عدة، أختارُ معنيين منها لعلاقتها الوثيقة بموضوع الرابطة :

١- روح الإنسان:

قال جل جلاله: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الحجر: ٢٨ - ٢٩.

ويطيب لي أن أنقل بعض ما كتبه شيخنا الجليل الدكتور عبد الله مصطفى - طيب الله تعالى روحه وذكره وثراه - في كتابه (معالم الطريق) : "الحياة كالمات هي في حقيقتها سرٌّ جعله الله تبارك وتعالى من أخفى الأسرار وجعل من ظواهرها وآثارها ما هو من أجلى البديهيات، أنت حي تسمع وتبصر وتشم وتلمس وتذوق وتأكل وتعمل وتسعى وتتحرك، ثم إذا نظرت إلى جثمان إنسان قد مات رأيته قد فقد تلكم السّمات الظاهرات وانقلب جسداً ليس يوجد فيه حياة كلوح من خشب أو مرمر آيل إلى تراب أو رفات، فإن

كنت لم تر قط ميتاً فاجتهد أن ترى، فليس من رأى كمن سمع وإن كان السماع كما هنا بالعينين . سر الحياة وباعثها هو الروح، وسر الممات انقطاع الروح عن البدن، فأي شيء هو الروح في حد ذاته يا ترى؟

إننا نستطيع أن نعرفه بخاصته وقواه وآثاره، وإن كنا لا نملك تحليل ذاته إلى مركبات - لأنه بسيط وليس من المركبات أصلاً - أعلمنا بالروح خالق الروح في كتابه المجيد إذ قال: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ الإسراء: ٨٥ .

هذا جواب تام وليس منعاً من الجواب كما يتوهم بعض الناس . فإن الله - جلت قدرته - يخلق على أنواع وأنماط، يخلق على نمط سلسلة طويلة من الأسباب والمسببات، ويخلق خلقاً مباشراً تنعدم فيه السلسلة الطويلة .

المخلوق على أول النمطين كقرص الخبز الذي تأكله وتتغذى منه: فمن حراثة الأرض وذر البذرة، وسقي الماء وتعاقب الإشعاعات والأضواء ثم الحصاد والتنقيح والطحن وعمل الخبز إلى وضعه أمامك تأكله كم من سبب وسبب مما ذكرنا ومما لم نذكر؟! وعمر الحق لا نحصي حلقات السلسلة في خلق الخبز وحده في كتاب في حجم الذي بين يديك فكيف في سلاسل الخلق لسائر المخلوقات! أما المخلوق على النمط الثاني فقريب العهد بالخالق من حيث انعدام السلسة، ويعبر عنه رب العالمين بالإضافة إلى ذاته - جل جلاله وعم نواله - : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الحجر: ٢٩.

﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ السجدة: ٩.

و ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ وهي الآية المتلوة بتمامها آنفاً التي تم فيها جواب السؤال ببيان خاصة الروح المميزة إياه وهي كونه من عالم الأمر، أي من عالم النمط الثاني .

وتعريف الشيء بذكر خاصته المميزة أدق من التعريف بأعراضه العامة، وقد علمت قبل قليل أن الروح بسيط وليس من المركبات حتى يعرف بذكر عناصر التركيب .

ها نحن علمنا خاصة الروح وعلمنا آنفاً الظواهر البديهية من قواه الضعيفة المألوفة في جسم الإنسان كالسمع والبصر، وسنعلم في الفصل الخامس عشر قواه القوية وتفصيل آثارها، هذه ثلاث قوى عظيمة وهي: "الفكر- والقلب - والنفس" ، لها صنوف من التأثير الداخلي والتأثير الخارجي، أي التأثير المتبادل بينهما في ذات الإنسان الفرد عينه، والتأثير المتعدي إلى آخرين من بني الإنسان .

والقلب والفكر قوتان جليلتان تتم بهما جلائل الأعمال على ما سوف يأتي في الفصل الخامس عشر- إن شاء الله تعالى - وسنذكر آثار النفس السيئة في الفصل الثامن المخصوص بكشف علماء السوء وأعمال التخريب . فيكفي هنا أن نصور لك صورة مختزلة لبعض هذه التأثيرات .

يوجه إنسان قوة الإرادة صوب هوى النفس الأمارة بالسوء في مجال الفكر وفي مجال الشهوات فيترجح عنده الكفر على الإيمان والضلالة على

الهداية والانهماك في ملذات البطن والفرج حيثما أتت، والأثرة في هذه وإن كانت السبل إليها جرائم في حق أشخاص آخرين أو في حق المجتمع، ويوجه إنسان قوة الإرادة نحو تقوى القلب فيترجح عنده الإيمان على الكفر والهداية على الضلال والاعتدال في الملاذ والإيثار على الأثرة، ومن ثم نفع الآخرين فرادى أو جماعات وإذا شئت فاقرأ قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ النازعات: ٣٤ - ٤١.

هذا هو روح الإنسان وهذه قواه، وتتفاوت الأرواح بمراتب قواها كما تجدها تتفاوت في قوة الفكر والاستعداد لتلقي العلوم، وإذا كان الناس هكذا بأرواحهم فكيف بأرواح الأنبياء والرسل - صلوات الله عليهم وسلامه - ثم كيف بالروح العظيم الذي اختير لختم النبوة والرسالات ! عِلمُنا لا يستطيع يبلغ مبلغ الكشف عن مرتبته، فكشفها ربه الذي خلقه وأولاه منزلته وأمرنا بإتباعه في كل شيء وبأن: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾ النساء: ٨٠.

فلنتدبر هذه الآيات من رب العالمين:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ ۖ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ النجم: ٣ - ١٠.

﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾

إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ النجم: ١٣ - ١٨.

يا لعظمة هذا الروح ! يعرج إلى سدرة المنتهى ويرى الكبرى من آيات ربه ثم لا يزيغ منه البصر ولا يطغى - ولكم زاغت أبصار أو طغت في مقامات دون هذا المقام - بأبي أنت وأمي يا خاتم الأنبياء والمرسلين، صلى الله عليك وعلى آلك وأصحابك والمهتدين بهديك إلى يوم الدين .

وبِتّ ترقى إلى أن نلت منزلةً من "قاب قوسين" لم تُدرَك ولم تُرَمِ "

(ديوان البوصيري :١/ ٢٤٧، ومعالم الطريق: ص٥٥- ٥٨)

فروح الإنسان لها آثارها الظاهرة والخفية وأتمنى لكل إنسان يحترم إنسانيته أن يكون له تطلع للثقافة الروحية ويأخذ نصيباً وافراً منها، ومَن وُفّقَ لذلك فعليه قراءة المباحث المخصوصة بعجائب القلب وصفاته ومنجياته ومهلكاته في الجزء الثالث من كتاب "إحياء علوم الدين" للإمام الغزالي، ولآثار الروح بعد مبارحة الجسد كتاب "الروح" للشيخ ابن القيم الجوزية، ومعالم الطريق لشيخنا العلامة أستاذ الجيل حضرة الدكتور عبد الله مصطفى رحمهم الله تعالى.

٢- بصيرة القلب:

قال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ

ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ المجادلة: ٢٢.

البصيرة نور يقذفه الله تعالى في القلب، ومن ثَمّ فُسّرَ قوله تعالى:

﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُ ﴾: أي بنور القلب، قاله جمهور المفسرين – رضي الله تعالى عنهم وعنكم – (ينظر تفسير أبي السعود: ٧/ ١٥، وتفسير النسفي: ١/ ١٦، وتفسير روح المعاني: ٢٠ / ٨٤).

وهاكم ما قاله الإمام الطبري – رحمه الله تعالى –: ﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُ ﴾ "أي قواهم ببرهان منه ونور وهدىً" (جامع البيان في تأويل القرآن: ٢٣ / ٢٥٨).

وقال الإمام الآلوسي – رحمه الله تعالى –: ﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُ ﴾ " أي: من عنده عز وجل على أن " من " إبتدائية، والمراد بالروح نور القلب وهو نور يقذفه الله تعالى في قلب من يشاء من عباده تحصل به الطمأنينة والعروج على معارج التحقيق، وتسميته روحاً مجاز مرسل لأنه سبب الحياة الطيبة الأبدية" (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٢٨ / ٣٦).

وقال الأستاذ سيد قطب – رحمهُ الله تعالى –: ﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُ ﴾ " وما يمكن أن يعزموا هذه العزمة إلا بروح من الله، وما يمكن أن تشرق قلوبهم بهذا النور إلا بهذا الروح الذي يمدهم بالقوة والإشراف ويصلهم بمصدر القوة والإشراق" (في ظلال القرآن: ٧/ ١٥٥).

س٤ / كم هي الطاقات الروحية ؟

ج/ أوصلها بعضهم إلى ما يقرب من عشر، ولكن الراسخ في علم الروح، والمجتهد في كتاب الملك القدوس وسنة سيد الخلق حبيب القلوب

و النفوس – صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم – ، سيدي وقرة عيني الذي ما ذقت حلاوة الإيمان إلا على يديه المباركتين العلامة الدكتور عبد الله مصطفى – طيّب الله تعالى روحه وذكره وثراه – حصرها في ثلاث قوىً متمايزات فقال – رضي الله تعالى عنه وعنكم – في كتابه الفريد الموسوم بـ "معالم الطريق في عمل الروح الإسلامي":

هذه القوى ثلاث: الفكر، والنفس، والقلب، والثلاث القوى متمايزات ومتفاعلات في واقع الأمر على ما سنرى .

– الفكر: قوة روحانية بها يدرك الروح ويعلم ويتأمل ويعقل ويفهم ويتخيل ويتذكر ويستنتج.

ومظهر ارتباطها بالجسد الترابي هو الدماغ وفى آيات عديدة من الكتاب المجيد وردت مشتقات " الفكر " الفعلية للدلالة القطعية على وجود الفكر والمفكر ولمعان أخرى منها :

أ– التأمل والتدبر، كما في قوله تعالى :﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾ المدثر: ١١ – ٢٥.

ب– العلم بالشيء، كما في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ ﴾ الأعراف: ١٨٢ – ١٨٤.

ج- التفكر والاستنتاج، كما في قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ الروم: ٨.

د- التعقل، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الروم: ٢١.

هـ - التذكر والتخيل، كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ يونس: ٢٤.

- النفس: هي القوة الدافعة إلى الشهوات والأمارة بالسوء، ومظهر ارتباطها بالجسد غدة في الثالث من تجاويف الدماغ قبالة ما بين العينين من الجبهة تقريباً، والغدة قابلة للتكلس المادي دون أن تكون قد ماتت بعد، وقد وردت "النفس" في القرآن المجيد كثيراً .

للإعجاز البلاغي في القرآن الكريم أساليب كثيرة جداً، منها استعمال كلمة واحدة للدلالة على معاني متعددة يتعين من بينها المعنى في أيّما نص مشتمل على الكلمة تعيناً محققاً بسياق النص ومقتضى الحال البياني المدرك منه، وإن من هذه لفظة " النفس " هذه التي نقدم في الذكر معناها المراد بالتعريف ثم نشير إلى مواضع معانيها الأخرى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ

﴿ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ النازعات: ٤٠ - ٤١.

﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ المائدة: ٧٠.

﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ البقرة: ٨٧.

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ المائدة: ٣٠.

﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾ النجم: ٢٣.

﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ يوسف: ٥٣.

﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ يوسف: ١٨.

تلك هي النفس التي تهوى السوء وتأمر بالسيئات .

وفي اسم النفس اشتراك معان كما قلنا، أريد به ذات القدوس الرحمن الرحيم : ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ الأنعام: ٥٤.

واستعمل بمعنى شخص الإنسان الفرد: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ النساء: ١.

وبمعنى الفكر والقلب: ﴿ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ البقرة: ٢٨٤.

وأيضا في معنى " الروح " ذاته: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ ﴾ الفجر: ٢٧ – ٢٨.

ومرادنا هنا ما في السبع الآيات المتلوات .

– القلب: قوة روحانية لطيفة ذات مِرّة لها الإرادة ولها التأثير البليغ في القوتين الأخريين وأيضا تختص بمعقولات لا تصلها القوتان الأخريان، ومظهر ارتباطها بجسد الإنسان هو العضو الصنوبري الجسماني الموجود في تجويف الصدر المسمى باسم "القلب" عينه .

والقلب لطيفه الروحاني وكثيفه الجسماني يمدان أعضاء البدن جميعها بالحياة والغذاء، حتى إذا توقفا عن الإمداد انتهت حياة الإنسان الدنيا ومات الكثيف منهما وماتت خلايا الجسد، وانتقل اللطيف إلى العالم الآخر ملازماً أصل الروح خالداً في العالم الجديد إما إلى نار وإما جنة .

قد كثر في التنزيل ذكر القلب اللطيف كثرة مشعرة بمنزلته العلية بين سائر قوى الروح، وقد أحصينا الآيات فيها اسم القلب فبلغت إحدى وثلاثين ومائة ، بيد أن معناه قد ذكر في التنزيل باسم الفؤاد واللب أيضاً، حتى كأن القلب هو الروح عينه، فإن لم يكنه فهو أعظم قواه، فلنقرأ من الآيات البينات التي ترينا من أحوال القلب خيره وشره :

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ

ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ الشعراء: ١٩٢ - ١٩٤.

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ التغابن: ١١.

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ المجادلة: ٢٢.

﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ ﴾ الحجرات: ٧ - ٨.

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ الرعد: ٢٧ - ٢٨.

﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ الحديد: ١٦.

والقوى الثلاث: "النفس، والفكر، والقلب" متفاعلة فيما بينها يؤثر بعضها في بعض، وإن كان للقلب تأثير أتم وسلطان أعظم لأنه منبع الإرادة والقرار الفعّال، وإنما يستقيم له هذا السلطان إذا كان الوحي له

ظهيراً وإياه هادياً، فإن شذّ عن الوحي أو انحرف غلبه فكر منحرف لا محالة، وساقتها النفس الأمارة بالسوء إلى كل عمل ظاهر أو باطن فيه انقطاع القلب فمساءة الروح، وإذا شئت فعد إلى قراءة الآيات المتلوة آنفا ثم اقرأ بعدها هذه الآيات : ﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ التوبة: ٤٤ - ٤٥.

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ المائدة: ١٣.

﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ الزمر: ٢٢.

وعلى الجملة إذا انساق الإنسان مع النفس الأمارة إلى الكبائر والسيئات غلبته على فكره وقلبه بتراكب تلكم الآثام، وإذا انساق مع أفكار ضالة عن نهج الهداية الربانية غلبه الفكر الضال على قلبه فأمسى كالحجارة بل هو أشد قسوة، أما من آمن قلبه واتقى وصدق بالحسنى فذلك الذي يسر الله روحه لليسرى ووفقه لخير الآخرة والأولى، ولنا في الجزء الثلاثين من القرآن المجيد سور عديدة توضح بأساليب مفيدة أوجه الهداية والضلال والعلاقة بين القلوب والأفكار والأعمال .

ومن القرآن إلى السنة، حديث عظيم الموقع أخرجه أئمة الحديث البخاري ومسلم والترمذي بطرق متعددة كلها عن عامر الشعبي والبخاري بسند أعلى فيه بينه وبين رسول الله ﷺ أربعة رواة، فوجدناه من رباعيات البخاري فآثرناه هنا سنداً ومتناً : "حدثنا أبو نعيم قال حدثنا زكريا عن عامر قال سمعت النعمان بن بشير يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: "الحلال بين والحرام بين، وبينهما مشبّهات لا يعلمها كثير من الناس . فمن اتقى المشبّهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب" (صحيح البخاري: ١/ ٥٦، صحيح مسلم: ٥/ ٥٠ ٢٨٣). قلنا في سند الحديث إنه من الرباعيات، وفي متنه يقول النووي في شرحه لصحيح مسلم "(٦/ ٣٨٧): أجمع المسلمون على عظم موقع هذا الحديث، وكثرة فوائده وصحته، قال الشافعي وآخرون: هو ثلث الإسلام، وقال الشافعي: يدخل في سبعين بابا من الفقه، وقال آخرون: هو ربع الإسلام، وقال عبد الرحمن بن مهدي وغيره: ينبغي لمن صنف كتابا أن يبدأ فيه بهذا الحديث تنبيها للطالب على تصحيح النية .

ونقل الخطابي هذا عن الأئمة مطلقا، وقد فعل ذلك البخاري وغيره، فابتدأوا به قبل كل شيء، وذكره البخاري في سبعة مواضع من كتابه.

ثم أنظر – أيها الرفيق القارئ – إلى لطف التصريح والتلميح في كلام خاتم النبيين – صلّى الله تعالى عليه وعليهم أجمعين – وكيف نبّه على إرادة اللطيف والكثيف معاً من القلب في نص واحد، السياق ومقتضى الحال واضحان في

إرادة اللطيف من لفظ القلب إذ المقام مقام الورع والتقوى، فلما أراد الشارع الجليل التلميح إلى أن الكثيف أيضا مقصود بالنص استعمل لفظ "مضغة" الدالة عليه ثم قال "ألا وهي القلب" للدلالة عليهما معاً وبيان أن الكثيف الجسماني هو مظهر اللطيف الروحاني فهو عرش الروح، هذا الممنوح هذه القوة الفائقة والمخاطب من ثمة بأحكام رب العالمين خالق الكل وقيوم الكل – جل جلاله وعم نواله – وفي هذا المقام ذهب الأسلاف الكرام علماء الإسلام مذهبين في مستقر العقل، فمن علماء الحديث المجتهدين من ذهب إلى أن العقل في الدماغ كالإمام أبي حنيفة – رضي الله عنه – . ومنهم من ذهبوا إلى أن العقل في القلب لا في الرأس، محتجين بهذا الحديث الشريف، وبقوله تعالى:

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴾ الحج: ٤٦ .

و ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ ق: ٣٧.

وهذا هو ما ذهب إليه العلماء الشافعيون ومنهم الشيخ العلامة يحي النووي، الذي ذكر المنحيين في الموضع الذي أسلفنا الإشارة إليه من شرحه لصحيح الإمام مسلم . أما المتكلمون فجمهورهم في هذا على اختيار القلب، وفيهم من اختار الرأس وفاقاً لأبي حنيفة والأطباء، (عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ٢/ ٣٠٦) .

وإنّا بفضل الله وحسن توفيقه ذاهبون في هذه المسألة مذهباً موحداً بين المذهبين السالفين، فنقول: بأن الحق والصدق هو ما وضحه رسول الله ﷺ

من أن القلب بروحانيه المصرح به في النص وجسمانيه الملمح إليه فيه هو مرجع الصلاح والفساد في جسد الإنسان كله، إذ ليس بعد مقال الرسول ﷺ من حكم إلا ما يوافقه: "أفلا ترى إلى القلب متى فسد فسدت أعضاء الجسم فارتكبت المفاسد والمحرمات"، وبأن المذهبين السالفين كلاهما راجع إلى الصحة وموافقة النص دونما تعارض بينهما إذا دققنا المسألة على مزيد من علم وتحقيق .

لقد بينا قبل ورقات أن مظهر الفكر هو الدماغ وأن العقل من الفكر وهما راجعان إلى العلم، وقد سبق أن بيّنا في مباحث العلم "في الفصل الخامس" أن حقيقة العلم حاصلة بنبض كهرومغناطيسي يحصل في الدماغ، ولنعلم الآن أن القلب هو المولد الذي ينتج منه ذلك النبض الكهرومغناطيسي وكل القوى الكهربائية الأخرى الموجودة في جسم الإنسان، وهو أيضاً الذي ينتج قوة كهربائية خفيفة في داخل نفسه لتنظيم نبضاته، حتى إذا اختلّت درجة قوتها المعينة زيادة أو نقصاناً اختلّ نظام نبضات القلب ذاته اختلالاً مشعراً بمهات الجسد آخر الأمر .

وهذه الأخيرة قد أصبحت اليوم معروفة في علم الطب، وأصبح اختلالها يعالج معالجة جراحية بمد رأس سلك إلى داخل القلب الكثيف مربوطة نهايته الأخرى بنضيدة كهرباء جد صغيرة تخبأ تحت جلد المريض في موضع ملائم من جسده، وهذا وجه من أوجه التمايز بين قوتي الفكر والقلب من قوى الروح الثلاث التي بيناها آنفاً، ومن هاهنا ما أسلفناه من التفاعل بين هذه القوى ومن أن القلب اللطيف هو صاحب السلطان

الأعظم والتأثير بين قوى الروح، وهكذا يصح قول القائل بأن العقل في الرأس كما يصح قول القائل بأنه في القلب، الأول باعتبار المظهر المحسوس به، والثاني باعتبار المكمن المؤثر، ومثل الفريقين كمثل اثنين يدخلان غرفة مضاءة بمصباح كهربائي وأحدهما يفقد ثقافة الكهرباء والآخر يجدها: فأولهما يعزو الإضاءة إلى المصباح والثاني إلى تيار الكهرباء عبر الأسلاك، وكلاهما مصيب عند ذاك .

كل ذلك ونحن في مجال بعض وظائف الأعضاء في جسم الإنسان، وبعض القوى الكهربائية وبعض علاقاتها بقوى الروح، فأما الأمر الأدق من هذه كلها في صلة الروح صاحب القوى الثلاث بمكونات جسد الإنسان كلها من "الذرات" و "الدوذريات" فارجع للعلم به إلى المبحث التاسع من كتاب "الرفيق الأعلى" حيث الكلام في مجال الفيزياء النووية .

وتأمل بعد ذلك كله في الحكمة وفصل الخطاب عند خاتم النبيين كما وجدنا في حديثه الشريف المستنار به هاهنا، علومه وحي فلا يحتاج هو فيها إلى فسلجة وفيزياء ولا إلى تجميع مقدمات وآراء، ثم ارجع الفكر كرتين في حديثه الشريف تستزد من فوائده أنه ﷺ رمى إلى الورع والتقوى باجتناب حمى الله وتعظيم شعائره، ومن يتق ويعظم شعائر الله فذلك من تقوى القلوب، وأنّى لي أن أجمع في هذا الكتاب جميع المحارم والشعائر!

قد عرضنا منها في الفصل السابق وسائر الفصول، وإذا الرفيق القارئ استزاد مزيداً فله الإفاضة في جوامع السنن، ولا سيما أبواب البر وأبواب الرقائق، حيث أنوار الورع والتقى والإيمان ومصابيح الهداية إلى جنتين

ذواتي أفنان . لكني أملك هنا أن أقدم إليه صورة من صور الورع عند المؤمنين والمؤمنات صدقاً، وهذه في قصة جد قصيرة ذكرها العلامة القسطلاني في شرحه لصحيح الإمام البخاري، (١ / ٢٨٥، والرسالة القشيرية: ١/ ٥٣)، ذهبت مسلمة إلى الإمام أحمد ابن حنبل تستفتيه في واقعة شرعية فقالت له: إنّا نغزل على سطوحنا – ليلاً – فيمر بنا مشاعل الظاهرية – أي قوافل الركائب حاملات الأثقال – ويقع الشعاع علينا، أفيجوز لنا الغزل في شعاعها؟ فقال لها الإمام أحمد: من أنت عافاك الله ؟ قالت: أخت بشر الحافي ، فبكى الإمام وقال: "من بيتكم يخرج الورع الصادق، لا تغزلي في شعاعها" (أخرج الترمذي في الجامع الصحيح: ٤/ ٦٣٤) . حدثنا أبو بكر بن أبي النضر حدثنا أبو النضر حدثنا أبو عقيل الثقفي عبد الله بن عقيل حدثنا عبد الله بن زيد حدثني ربيعة بن يزيد وعطية بن قيس عن عطية السعدي وكان من أصحاب النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : " لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً لما به البأس".

لينظر الإنسان، إذن في شأن روحه مع القوى الثلاث، وفي أمر معاشه هنا ومحياه في دار المقام، وفي الطريق الذي مهده سيد الأنام إلى رياض الجنة ولقاء الملك العلام: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ النور: ٥٢.

فحق النفس الأمارة: أن يكبح جماحها، وتكسر سيوفها ورماحها وتُصد عن الجوارح والفكر والقلب رياحها، وتقهر حتى ينقطع خداعها وجراحها، وتطوّع كيما يستوي مسراها وغدوها ورواحها، ثم يهدى إليها استقرارها

وأمانها وفلاحها.

وعندئذ فهي النفس المزكاة مريدة القلب في أمره والإشارات، وقد اخترت هذه الجمل القصيرات المسجعات خاتمة لما في هذا الكتاب عن – النفس – من مقالات مفرقات أو مجمعات، مع هذين البيتين الجميلين من الشعر التصويري للإمام القدوة البوصيري :

والنفسُ كالطفلِ إن تُهمِلهُ شَبَّ على حُبِّ الرَّضاعِ وإنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِم
فلا تَـرُمْ بالمعاصِي كَـسْرَ شَهْوَتِها إنَّ الطعامَ يُـقَـوِّي شهوةَ النهمِ

(ديوان البوصيري: ١/ ٢٣٨)

وحق الفكر: أن يستعلم كل معرفة هي فرض عين، ثم كل ما أمكن من فروض الكفاية، ثم ما تيسر من النوافل والمبرآت والقربات وأن يتجه في العلم والعمل إلى الضروريات للحياة، ومنها إلى الحاجيات ثم من هذه إلى التحسينات، – وقد مر علينا كثير من هذه المعاني في فصول الركنين الأول والثاني –، وأن يصبح للقلب خير معين ورفيق يساوقه ويواكبه ويحاوره، ويستعين به ويعاونه، ويتجه معه إلى كل ما يحيي الفؤاد ويرضي رب العباد .

حق القلب: أن يتجه إلى الغاية المثلى والمقصد الأسنى لروح الإنسان، وأن يقود الفكر إلى زكاء الأبدان والجنان، وأن يعرج مع الروح إلى عالم القدس وبهجة الرضوان، ولهذا خصصنا القلب بجل ما في هذا الفصل الأخير من علم وبيان .

ثم المستخلص مما تقدم كله أن قوة النفس وقوة الفكر لا تستغنيان عن قوة القلب، وأن قوة القلب قد تنفرد عنهما بمعارف وأعمال .

وربما لقبت قوة القلب - بالحاسة السادسة -، وجرى إلى ذكرها والحديث عنها أتباع الحضارة الأوربية الحديثة، ولا سيما بعد ما اشتهر أن الحاسة السادسة هي من مكتشفات علماء هذه الحضارة المتخصصين في علم النفس وعلم الروح، والتابع قد يغفل عما يعلم متبوعه، وقد يجهل ما يخفي المتبوع ابتغاء الدجل في العرفان أما نحن فنعلم أن أخص خصائص الحضارة الأوربية المعاصرة هو الدجل، والحاسة السادسة لم تسلم من هذا الدجل، أول عالم لقب هذه القوة الروحانية - بالحاسة السادسة -: هو الإمام الهمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي - ت ٥٠٥ هـ، أي قبل أن تنبثق الحضارة الحديثة وتنهض، إذا شئت فارجع إلى . (إحياء علوم الدين) (٤/ ٣٦٣ - ٣٦٤) بل كانت علوم الفيلسوف الغزالي وعلوم خلفه ابن رشد الحفيد وكتبهما الكثيرة هي المعين الصافي الصحصاح الذي منها استقيت المعارف التي نهضت عليها الحضارة الجاحدة، وليس في هذا الشأن هنا متسع لتفصيل، فإذا أحببت فراجع مقدمة كتابنا "الرفيق الأعلى "، أو الفصول الأخيرة من "الحرية الجامعية".

المهم إنّا عرفنا الثلاث القوى بالأدلة الثابتة، وتوصلنا إلى أن القلب قوة برأسها من قوى الروح، فلم يعد بنا حاجة إلى اعتبارها حاسة ولا إلى تلقيبها بالسادسة كما رأيت، ولست في قولي هذا معارضا الغزالي الإمام ولا آخرين من الأئمة الأعلام هداة الأنام بالإسلام، فهو شيخي في سلسة الإجازة العامة في علوم الكتاب والسنة، وهم جميعاً أسلافنا الذين بنوا الصروح والشرفات العوالي وعلى مراقيهم صعدنا نحن إلى العلالي، وإنما

أنا بعض الغابطين. كما قال أمير الشعراء أحمد شوقي رحمه الله في "نهج البردة"، مخاطباً الرسول – صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم – في شأن الإمام البوصيري وبردته :

مَديحُهُ فيكَ حُبٌّ خالِصٌ وَهَوىً وَصادِقُ الحُبِّ يُملي صادِقَ الكَلَمِ
اللهُ يَشهَدُ أَنّي لا أُعارِضُهُ من ذا يُعارِضُ صَوبَ العارِضِ العَرِمِ
وَإِنَّما أَنا بَعضُ الغابِطينَ وَمَن يَغبِط وَلِيَّكَ لا يُذمم وَلا يُلَمِ

(موسوعة الشعر الإسلامي: ٥٦٠/ ٧)

❊ ❊ ❊

الفصل الثاني

تعريف المُرشد

وبيان بعض خصائص الروح

- وفيه مبحثان:

المبحث الاول: تعريف المرشد

المبحث الثاني: بعض خصائص الروح

قلت في تعريف الرابطة اصطلاحاً: "هي الإفادة من روحانية المرشد للتقوّي على ذكر الله تعالى بإذنه سبحانه".

س١: من هو المرشد ؟

ج: هو الشيخ الكامل الموصول السند بسيدنا محمد ﷺ من الناحية الروحية والعلمية، ولفظ - المرشد - ورد في قول الله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ الكهف: ١٧ .

قال الشيخ سعيد حوّى - رحمه الله تعالى - :

" والآية دلّت على أن أعظم الهداة هم الأولياء المرشدون: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ بين أن هؤلاء - أي أصحاب الكهف - رضي الله عنهم وعنكم - هم الغاية في الهداية، فمن أراد الله إضلاله لأنه سلك سبل الضلال مثل الظلم والفسق، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ البقرة: ٢٥٨ .

وقال أيضاً : ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ المائدة: ١٠٨، قال: فمن أراد الله إضلاله فإنه لا يهديه أحد حتى ولو كان ولياً مرشداً، نسأله تعالى أن يجعلنا من الأولياء المرشدين"(الأساس في التفسير :٦ / ٣١٦٩).

س٢: هل يصح اطلاق لفظ الكامل على المخلوق ؟ وما يراد به ؟

"الكامل": يراد به الكمال المقدور للإنسان في مجال التقوى والإيمان والإحسان، قال حبيبنا المصطفى العدنان - صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه

وسلم - : " أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحَاسِنُهُمْ أَخْلاقًا، الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَلاَ خَيْرَ فِيمَنْ لا يَأْلَفُ وَلاَ يُؤْلَفُ "(المعجم الصغير للطبراني: ١/ ٣٦٢، وشعب الإيمان للبيهقي: ١٠/ ٢٣٦) ، وقال - صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم - : " كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران وآسيا امرأة فرعون وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام " (صحيح البخاري: ٨/ ٥٠٦)، وفي رواية: " كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربعة، آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ". (صحيح البخاري: ٥/ ٣٦، ومسلم: ٧ / ١٣٨، والحلية: ٢/ ٣٤٤، والبحر المديد :٨/ ١٣٠). ولا يراد به الكمال المطلق لأن هذا لا يكون إلا لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد جل جلاله وعم نواله .

س٣: ما هي اهم صفات المرشد ؟

ج: من صفات المرشدين - رضي الله تعالى عنهم وعنكم - إضافة إلى ما ذكر: التأثير الروحي بإذن الله تعالى، وسلامة الصدور، ومحبة الهداية للناس أجمعين مع البعد التام عن الأهواء والمعاصي والذنوب إلا ما كتب على ابن آدم، فإني لا أدّعي العصمة لغير الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والتسليم -، قال تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ

فَٱحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ آل عمران: ١٣٣ - ١٣٦، فانظروا رحمكم الله تعالى كيف وصف المتقين باحتمال وقوعهم في المعاصي ولكنهم سرعان ما يتوبون ويذّكرون .

ولحديث: " كل بني آدم خطاء، وخير الخطاءين التوابون "(أخرجه أحمد: ٣/ ١٩٨ رقم ١٣٠٧٢، والترمذي: ٤/ ٦٥٩، رقم ٢٤٩٩) رحمهما الله تعالى .

فالمرشدون - رضي الله عنهم وعنكم - هم ورّاث الحبيب محمد - صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم - وراثة نسبية تنسجم مع مقام الولاية، ثم يتفاضلون فيما بينهم حسب مجاهداتهم وفضل الله تعالى عليهم، فهم درجات عند الله تعالى، ولا أثبت الوراثة التامة التي تجعلهم في مصاف الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والتسليم - لأن النبوة اصطفاء واختيار قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٧٥﴾ ﴾ الحج: ٧٥. وقال أيضا: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦﴾ ﴾ يوسف: ٦.

بينما الولاية اجتهاد وكسب ثم قبل ذلك وبعده فضل من الله تعالى وعطاء، قال سبحانه : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ النحل: ٥٣ .

وقال أيضاً: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ

﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾

يونس: ٦٢ - ٦٤.

وقال سبحانه : ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ البقرة: ٢٦٩.

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ البقرة: ١٠٥.

والوراثة النبوية في هذه الأمة وظيفة نيابية هي من مقتضيات ختم النبوة قال تعالى : ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ الأحزاب: ٤٠.

فهذه هي أمة الإسناد يقف عالمها ومرشدها بكل قوة وثبات يحدث عن نبيه - عليه الصلاة والسلام - بالسند الموصول، ويتوجه بأنوار قلبه الذاكر المطمئن قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ الرعد: ٢٨، ليشيع في أفكار محبيه الذين عاهدوه على طاعة الله تعالى في السر والعلن قدر المستطاع، أقول ليشيع في أفكارهم الإصلاح والتدرب على أعمال الروح بأنواعها ومنها ذكر الله تعالى، فالذكر في أصله عبادة روحية مبنية على التذكر. قال الشاعر :

أذكرونا مثل ذكرانا لكم رب ذكرى قربت من بعدا

(خزانة الأدب: ١/ ٤٢٩)

فالروح التي تستمد من الطاقات الفائقة من روحانية المرشد أقدر على

ذكر الله سبحانه وتعالى ؛ لأنها سقيت بماء الحكمة وقويت بأنوار المعرفة، وفي كل الأحوال الله سبحانه وتعالى: هو الفاعل ولا يحصل شيء إلا بإذنه تعالى، قال عز من قائل: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ الأعراف: ٢٠٥.

ولمزيد من أحكام الذكر أنصح بالتشرف بكتاب الأذكار للإمام النووي رحمه الله تعالى، فقد سمعت المشايخ الذين تشرفت بهم يقولون في تقريضه: " بع الدار واشتر الأذكار " (أبجد العلوم: ٢/ ٤٧)، وكتاب شيخنا – رحمه الله تعالى – " معالم الطريق " الذي اقتبست منه كثيراً في ثنايا هذا البحث.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ الجمعة: ٢.

فالوظائف المذكورة في هذه الآية الكريمة ومثيلاتها توارثها المرشدون كابراً عن كابر من حبيبهم سيدنا رسول الله – صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم – .

فالمرشد إذاً عبد تقرب من الله تعالى بصدق النية وعلو الهمة وكثرة الطاعات تحت رعاية مرشده وشيخه الموجه الفائق فتضاعفت طاقاته الروحية وتحقق في المعاني الإيمانية وتدرج في العروج إلى مقامات القرب من رب البرية سبحانه فكان وارثاً حقاً لسيد الخلق وحبيب الحق – صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم – .

قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ العنكبوت: ٦٩، وقال جل جلاله وعم نواله : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى

﴿وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ سورة محمد ﷺ: ١٧.

وقال – عليه الصلاة والسلام –: " إن الله تعالى قال: " من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه " (صحيح البخاري: ١٦ / ٣٣٩).

وقال – صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم –: " المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله " (رواه أحمد ٦/ ٢٠، وابن حبان ١٠/ ٤٨٤، والحاكم ١/ ٥٤ وصححه، والبيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٤٩٩)، رحمهم الله تعالى، فهذا هو الذي هدينا إليه وندعو الله تعالى قائلين: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ آل عمران: ٨.

وما أجمل في هذا المقام أن نتشرف بهدايات مستنبطة من كتاب الله – العليم العلام – وسنة خاتم النبيين – عليه الصلاة والسلام – سطرها شيخنا وأستاذ جيلنا الهمام – طيب الله روحه وذكره وثراه – في كتابه " معالم الطريق " فقال – رضي الله عنه وعنكم – تحت عنوان:

"التعلم والإرشاد"

من الأمثال السائرة: " العلم بالتعلم "، وهو قول حق شريف أساسه الكتاب المجيد وحديث من تراجم الإمام البخاري (القسطلاني: ١ / ٣١٧).

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ العلق: ٤ - ٥، خلق رب العالمين - جلّت قدرته - لكل عالم من عوالمه الكثيرة قوانين وسنناً، وهذه لحياة الإنسان الدنيا وعالمه على أرضنا، القوانين والسنن التي نعلم ونعرف منها ونشاهد ونطبق: قوانين الوسائل والغايات والأسباب والمسببات، منها ما لنا عليه قدرة وما ليس لنا عليه شيء من القدرات، ووسيلة استحصال العلم هي التلمذة والتعلم والأستاذ والتعليم، الشأن في كل العلوم هكذا، فأما الجوانب التطبيقية للعلوم والمعارف التي لا ينفع النظري منها مفصولاً عن العملي، أما هذه فالحاجة فيها إلى الأستاذ المرشد وتوجيهاته أشد وأدعى .

خذ علوم الطب والصيدلة مثالاً، وكلاهما من العلوم التطبيقية، أنت لن تصبح طبيباً بمحض المطالعة في كتب الطب وقرائتها، ولن تغدو صيدلانياً بمجرد الخوض في أسفار الصيدلة، وأوضح الأمثلة لذلك في مجال علوم اللغة وفنونها "علم المخارج" و "علم التجويد" ؛ فافهم أن علم الروح ليس بمستثنى مرسل عن قوانين الوسائل والغايات، فهو علم أجل منافعه إنما هو في الجانب التطبيقي منه، فإذا كانت الحاجة في العلوم الأخرى ماسة إلى الأستاذ المرشد المتمكن فالحاجة إليه في علم الروح أمس والاحتياج إليه أوجب من باب أولى.

ثم انظر إلى الشأن في أركان الدين، يرسل رب العالمين - جل وعلا - رسوله جبرائيل إلى خاتم النبيين - صلى الله وسلم على رسوليه الكريمين - ليعلمه الصلاة ويؤمه للتطبيق في الصلوات الخمس المكتوبات في أوقاتها،

أرجع لأسانيد ذلك إلى كتاب الصلاة من مصادر الفقه، وهذا خاتم النبيين – جزاه الله عن المسلمين خيراً وصلّى وسلّم عليه – قد تولى الإرشاد والتعليم في الجانبين النظري والتطبيقي من أحكام الإسلام وشريعته الغراء، ولا سيما المخصوصة منها بأعمال القلوب من الورع والتقوى والذكر والفكر ومقام الإحسان، وتولاه من بعده من أتباعه وارثو علمه سادات الأمة الداعون نيابة عنه إلى الله – جل جلاله – وإلى خاتم أديانه الذي أكمله وارتضاه وأتم به نعمته على العالمين .

وتتابع العلم والإرشاد والمرشدون، يجيز السلف منهم الخلف في سلاسل متصلة من لدن خاتم النبيين – صلى الله وسلم عليهم أجمعين – إلى يومنا هذا، وإن من سلاسل المرشدين المجازين المجيزين على "طريق الحضور والإحسان"، "طريق صريح الإيمان" سلسلة هي أشبه ما تكون بسلسلة الذهب من رواة الحديث، وترقى في أعاليها إلى القاسم بن محمد من فقهاء المدينة السبعة فإلى سيدنا سلمان الفارسي فسيدنا أبي بكر الصديق – رضي الله عنهم –، وتلقى الصاحبان الجليلان من منبع العلم والإرشاد والعرفان والإحسان – صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه – ووارثي علمه إلى يوم الدين . ويتتلمذ الإنسان حتى يغدو عالماً، فإذا غدا ملك أن يستزيد بالمطالعة في علم قريب من مجال اختصاصه لم يكن تلقاه بعينه من أساتيذه، لكن عالم الفقه والقانون إذا أحب أن يصبح طبيباً فوسيلته لذلك العودة إلى التلمذة ليس إلا .

والمؤمن المتقن ما افترضه الله تعالى عليه من واجبات الإسلام ونوافله متى

اتجه إلى مرضاة ربه ورافق أصحاب القلوب أمكنه التدرج بقوة الفكر حتى المثابة الأولى من النهج البادئ من مقام الإحسان، فأمّا المثابة العليا من النهج البادئ وأما النهج الأقصى فلا سبيل إليهما من دون أستاذ مرشد أمدّه الله تعالى بالعلم وبالقدرة على توجيه القلوب بحول الله وقوته، ذلك لأن علالي المقصد الأسنى لا تنال ولا يعرج إليها إلاّ بقوة القلب، والقدرة على استعمال قوة القلب وسيلتها التدرب بين يدي أستاذ مرشد قد بلغ النهج الأقصى من مقام الإحسان واتصلت بالإجازة أسبابه بالسلسلة الآنف ذكرها المتشبثة بأذيال خاتم النبيين وقدوة الأولين والآخرين – صلى الله وسلم على إمام المتقين وآله وأصحابه والمتشبثين بأذيال هدايته إلى يوم الدين – .

والغافل عن سنن الله تعالى وقوانينه في وسيلة العلم وتلقيه هو ذاك الذي تخيل إليه نفسه أن الأمر أُنُفٌ لكل امرئ في كل زمان، وأن ليس من حاجة إنسان إلى إنسان في مجال علوم الدين والروح ومقام الإحسان، والغالب على هؤلاء الغافلين سوء الظن بعباد الله المخلصين، والالتهاء بالغيبة والنميمة واقتراف هذه الآثام تزينه لهم نفوسهم بأن فيها دعوة إلى الإسلام .

وأحب ان اضع لهذا الغافل ميزان اعتدال يزن هو به نفسه ويمتحن الخطأ من الصواب إن أقام فكره ورأسه . ليتعبدْ كيف يشاء وليتحنث كيف يشاء شهرا كاملا أو عاما كاملا، ثم ليحرك قلبه كيف يشاء فلينظر هل أصبح قلبه ذاكرا الذكر الذي وصفناه عند بيان المثابة العليا من النهج البادي لمقام الإحسان انه سيدرك العجز عن إيصال قلبه إلى تلك المثابة وإذا تبين عجزه فليكن بعد العجز حصيفا يزجر نفسه الأمارة بالسوء تدعوه إلى

الغرور والمكابرة والإهمال، وليتبع سنة الله – جل جلاله – التي سنها للتعلم والتلقي والاسترشاد فليذهب إلى عالم مرشد متخصص وارث لعلوم رسول الله، وليقبل يده وقدمه إخباتا وتواضعا ومحبة لله – كما صنع أصحاب رسول الله مع رسول الله – اللهم صل وسلم على هادينا ومرشدنا ومقتدانا محمد وآله وأصحابه ووارثي علومه الشريفة .ولك الحمد والشكر والمنة والعتبى أولا وآخرا حتى ترضى يارب العالمين –. (معالم الطريق: ص ٣٠٣ - ٣٠٥).

❊ ❊ ❊

المبحث الثاني: بعض خصائص الروح

س١: هل تؤمن بالتأثير الروحي ؟ ولماذا ؟

ج: نعم، أؤمن بالتأثير الروحي سلباً وإيجاباً، لتضافر النصوص الشرعية على ذلك وتأكيدها عليه .

أ – بعض أدلة التأثير الإيجابي :

١– قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ ﴾ آل عمران: ١٩٣ ، فانظروا يا رعاكم الله تعالى كيف علمنا أن نسأله جل جلاله وعم نواله الوفاة بصحبة التقاة لما لها من بركات وتأثيرات .

٢– قوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ التوبة: ١١٩ ، فتأملوا في هذا الامر الرباني لتفقهوا بركات الكينونة مع اهل الصدق .

٣– قوله عز وجل: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ الكهف: ٢٨ ، لاشك في أن وقع هذه الآية في بيان فوائد الحضور مع العُبَادِ وشدة التلاحم معهم وقع عظيم لا ينكر آثاره الا مكابر .

٤– حديث سيدنا رسول الله – صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم–

: " إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً منتنة " (الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم :١/ ١٨٠) .

٥- أخرج الترمذي في (الجامع الصحيح: ٤/ ٦٦٦):

"حدثنا بشر بن هلال البصري حدثنا جعفر بن سليمان عن سعيد الجريري عن أبي عثمان النهدي عن حنظلة الأسيدي وكان من كتاب النبي ـ ﷺ – أنه مر بابي بكر وهو يبكي . فقال: مالك يا حنظلة . قال: نافق حنظلة يا أبا بكر . نكون عند رسول الله – ﷺ – يذكرنا بالنار والجنة كأنا رأي عين . فإذا رجعنا إلى الأزواج والضيعة نسينا كثيرا . قال " أبو بكر ": فو الله إنا لكذلك انطلق بنا إلى رسول الله – ﷺ – فانطلقنا . فلما رآه رسول الله – ﷺ – قال: " مالك يا حنظلة " قال: نافق حنظلة يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنا رأي عين فإذا رجعنا عافسنا الأزواج والضيعة ونسينا كثيرا . قال: فقال رسول الله – ﷺ –: " لو تدومون على الحال الذي تقومون بها من عندي لصافحتكم الملائكة في مجالسكم وفي طرقكم وعلى فرشكم . ولكن ساعة وساعة وساعة " .

وسواء عنى حنظلة بقوله "كأنا رأي عين" أنهم صاروا كأنهم يرون الله جل جلاله أم كأنهم يرون الجنة والنار رأي عين فالمستفاد من شكاته ثم من جواب النبي – ﷺ – أنه وامثاله من الاصحاب قد كانوا في ذروة مقام الاحسان . رضي الله تعالى عنهم واثابهم بجهادهم وجزاهم عنا خيرا، فلقد

علمونا ونقلوا إلينا العلم مدرارا . ثم انظر كيف كان رسول الله – ﷺ – يزكيهم ويدربهم بقلبه وبحاله وبمقاله: اخرج البخاري (القسطلاني ج١١ص١٠٨): "حدثني ابراهيم بن المنذر حدثنا محمد بن فليح حدثني ابي عن هلال بن علي عن انس بن مالك رضي الله عنه قال (هلال)سمعته يقول: "إن رسول الله – ﷺ – صلى لنا يوما الصلاة " الظهر على ما قال القسطلاني " ثم رقى المنبر فأشار بيده قِبل قبلة المسجد فقال: " قد رأيت الان منذ صليت لكم الصلاة الجنة والنار ممثلتين " أي مصورتين كما قال القسطلاني " في قُبُل هذا الجدار " أي واجهته " فلم أر كاليوم في الخير والشر فلم أر كاليوم في الخير والشر".

٦– حديث أبى سعيد الخدري – رضي الله عنه – أن النبي الله – صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم – قال " كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الأرض ؟ فدل على راهب فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة ؟ فقال لا، فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض ؟ فدل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال: نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء . فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيرا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضيين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة ".

(صحيح مسلم: ٨/ ١٠٣)، وهذا الحديث الشريف يبين بجلاء ووضوح فائدة التوجه لصحبة الصالحين رضي الله تعالى عنهم وعنكم اجمعين.

٧- ومن الشواهد التطبيقية تلك القلوب التي أحياها سيدنا رسول الله - صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم - والتي كانت أقسى من الحجر.

ويطيب لي أن أستشهد بقصة سيدنا فضالة - رضي الله تعالى عنه - التي أوردها صاحب - زاد المعاد - في سيرته وهو ما حدث يوم فتح مكة المكرمة " إذ همّ فضالة أن يقتل رسول الله - صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم - وهو يطوف بالبيت فلما دنا منه قال له رسول الله ﷺ أفضاله ؟ قال: نعم فضالة يا رسول الله، قال: ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال: لا شيء كنت أذكر الله، فضحك النبي - صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم - قال: " استغفر الله "، ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه، وكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله شيئاً أحب إلي منه، قال فضالة: فرجعت إلى أهلي فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها فقالت: هلم إلى الحديث فقلت: لا، وانبعث فضالة يقول :

قَالَتْ هَلُمّ إِلَى الْحَدِيثِ فَقُلْتُ لَا ... يَـأْبَـى عَلَيْك اللهُ وَالْإِسْـلَامُ

لَـوْ مَـا رَأَيْـتِ مُحَـمّـدًا وَقَبِيلَهُ ... بِالْفَتْحِ يَـوْمَ تُـكَـسّرُ الْأَصْـنَـامُ

لَـرَأَيْـتِ دِيـنَ اللهِ أَضْـحَـى بَيّنًا ... وَالـشّرْكُ يَغْشَى وَجْهَهُ الْإِظْـلَامُ

(السيرة النبوية لابن هشام: ٥/ ٨٠، زاد المعاد: ٣/ ٣٦١)

٨- سئل سيدنا رسول الله - صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم

- " يا رسول الله من أولياء الله ؟ قال: الذين إذا رؤوا ذكر الله تعالى "،

(الدر المنثور للسيوطي: ٤/ ٣٧٠، الزهد لابن المبارك: ١/ ٣٩٢، ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي: ١٠/ ٢٠) .

فلنفهم مما تقدم أن مصاحبة أحياء القلوب الصالحين والإفادة من انوار قلوبهم والتأدب بآدابهم كل هذه مأمور بها في شرعة المسلمين جلية المنافع للدنيا والدين، وهي تثبت كغيرها من مثيلاتها وهي كثيرة التأثير الإيجابي للأرواح الزكية .

ب- بعض أدلة التأثير السلبي :

١- قوله تعالى حكاية عن سيدنا يعقوب - عليه السلام -:

﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧ ﴾ يوسف: ٦٧ ، فانظروا وفقكم الله تعالى كيف أن سيدنا يعقوب عليه السلام خاف على بنيه من الحساد إن هم دخلوا من باب واحد وأن القرآن الكريم وافقه ولم ينكر عليه .

٢- قوله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ ﴾ الفرقان: ٢٧ ، فالآية الكريمة تثبت فضلا لمعية الرسول -صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم- .

٣- قوله عز وجل: ﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ٣٦ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ٣٧ ﴾ الزخرف: ٣٦ - ٣٧ ، نصت الآية الكريمة على التأثير السلبي للغفلة وقدرة الشيطان.

٤- حديث سيدنا رسول الله - صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم

-: " العين حق ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم " (فتح الباري: ١٠/ ٢٠٠، المسند: ٢/ ٤٣٩، تفسير ابن كثير: ٨/ ٢٠٥).

وقال عليه الصلاة والسلام: " العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر" (أبو نعيم في الحلية: ٧/ ٩٠).

٥- كل الآيات والأحاديث التي تبين آثار الصحبة الصالحة بمنطوقها، تصلح أدلة على آثار الصحبة السيئة بمفهومها المخالف، ولخطورة التأثير السلبي فإن الله - سبحانه وتعالى - أمرنا أن نلوذ بجنابه ونحتمي بحماه - سبحانه وتعالى - فقال: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ الأعراف: ٢٠٠. وقال سبحانه: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ النحل: ٩٨.

وأنزل سورتين كاملتين في الإستعاذة وهما: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾ الفلق: ١ - ٥ .

و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ الناس: ١ - ٦ .

ومن العجب العجاب أن كثيراً من الناس يؤمنون بالتأثير الروحي السلبي إلى حد الخرافات وينكرون تأثيرها الإيجابي إلى حد التعدي على حرمة المؤمنين بها وإن كانوا من علماء الأمة المشهود لهم بالصلاح والإصلاح، بل المجمع على صلاحهم دون مخالف، وقد قدّر الله سبحانه وتعالى لي اللقاء

بأحد المنكرين بمسجدي (جامع الإمام مالك بن انس رحمه الله تعالى) ببغداد فرج الله عنها وعن أهلها، فحدثته بكل ما أعلم من هدايات الكتاب والسنة في الـتأثير الإيجابي للروح لكنه خرج منكراً، ولم يلبث سوى أيام قليلة حتى جاءني يقول: " دخيل الله خلصوني " فقلت: ما الذي حدث ؟ خير إن شاء الله تعالى ؟ فقال: " أصابتني كوارث بسبب حاسد " فذكر احتراق داره، وحصول حادثة مرورية لولده مع إصابات خطيرة ! فقلت: كيف عرفت ذلك ؟ قال: دخل عليّ رجل في متجري فقال: هذا كله لك وتملك داراً وسيارة ؟! وبعد خروجه بفترة وجيزة حصلت هذه الكوارث تترى .. فقلت له: سبحان الله ! قبل أيام كنت تنكر التأثير الروحي واليوم تثبته، ألا تجد نفسك بحاجة ماسة إلى مراجعة أفكارك ومعتقداتك ؟ ثم نصحته بأن يسلم الأمر لله تبارك وتعالى ويرضى بما قدر الله – عز وجل – ويكرر ما أرشد إليه سيدنا رسول الله – صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم – حيث قال: " الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهَّ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهَّ وَلَا تَعْجَزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهَّ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ "(صحيح مسلم: ٨/ ٥٦) .

ولا شك أننا حين نعتقد بالتأثير الروحي سلباً وإيجاباً نؤمن بيقين أن الفاعل هو الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ

حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ البقرة: ١٠٢، وهذا واضح أيضاً لكل من تأمل في تعريف الرابطة المذكور في هذا البحث.

س٢- هل يقر العلم الحديث بالتأثير القلبي ؟

ج/ نعم يقرُ بذلك فقد جاء في موقع الدكتور عبد الدائم الكحيل (اسرار القلب) ما يلي:

"ذبذبات من القلب"

يقول الدكتور بول برسال Paul Pearsall إن القلب يحس ويشعر ويتذكر ويرسل ذبذبات تمكنه من التفاهم مع القلوب الأخرى، ويساعد على تنظيم مناعة الجسم، ويحتوي على معلومات يرسلها إلى كل أنحاء الجسم مع كل نبضة من نبضاته. ويتساءل بعض الباحثين: هل من الممكن أن تسكن الذاكرة عميقاً في قلوبنا؟

إن القلب بإيقاعه المنتظم يتحكم بإيقاع الجسد كاملاً فهو وسيلة الربط بين كل خلية من خلايا الجسم من خلال عمله كمضخة للدم، حيث تعبر كل خلية دم هذا القلب وتحمل المعلومات منه وتذهب بها إلى بقية

خلايا الجسم، إذن القلب لا يغذي الجسد بالدم النقي إنما يغذيه أيضاً بالمعلومات! ومن الأبحاث الغريبة التي أجريت في معهد "رياضيات القلب" HeartMath أنهم وجدوا أن المجال الكهربائي للقلب قوي جداً ويؤثر على من حولنا من الناس، أي أن الإنسان يمكن أن يتصل مع غيره من خلال قلبه فقط دون أن يتكلم!!!

القلب.. يؤثر على قلوب الآخرين

أجرى معهد رياضيات القلب العديد من التجارب أثبت من خلالها أن القلب يبث ترددات كهرومغنطيسية تؤثر على الدماغ وتوجهه في عمله، وأنه من الممكن أن يؤثر القلب على عملية الإدراك والفهم لدى الإنسان. كما وجدوا أن القلب يبث مجالاً كهربائياً هو الأقوى بين أعضاء الجسم، لذلك فهو من المحتمل أن يسيطر على عمل الجسم بالكامل.

القلب.. يؤثر على أدمغة الآخرين

إن النتائج التي قدمها معهد رياضيات القلب مبهرة وتؤكد أنك عندما تقترب من إنسان آخر أو تلمسه أو تتحدث معه، فإن التغيرات الحاصلة في نظام دقات قلبك تنعكس على نشاطه الدماغي!! أي أن قلبك يؤثر على دماغ من هو أمامك.

- المجال الكهربائي للقلب أقوى ٥٠-١٠٠ مرة من الدماغ.
- المجال المغنطيسي للقلب أقوى بخمسة آلاف مرة من الدماغ.

- يؤكد الباحثون أن القلب يتأثر ببعض الكلمات ذات المعنى المريح، ويتغير معدل النبض ويتغير المجال الكهرومغناطيسي للقلب ويؤثر على الناس القريبين منه."

ومن اراد الاستزادة فعليه بالرجوع الى الموقع المذكور وأمثاله . وصدق الله العظيم القائل:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ فصلت: ٥٣.

❊ ❊ ❊

الفصل الثالث

الإيمان بالروح وآثاره مجمع عليه

بين علماء الإسلام وحكم الرابطة

- وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الإيمان بالروح وآثاره مجمع عليه

المبحث الثاني: حكم الرابطة الشريفة

أود في بداية هذا المبحث التأكيد على ما يلي :

١- ما سبق ذكره من هدايات الكتاب والسنة كافية شرعاً لإثبات مشروعية الرابطة والتأثير الروحي، وما أذكره هنا هو من باب التأكيد والتوضيح ليس إلّا، على اننا بفضل ربنا سبحانه وتعالى على الحق الذي جاء به سيد الخلق – صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم –.

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ يوسف: ١٠٨.

وقال سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم – : " قد تركتكم على البيضاء – وفي رواية – على المحجة البيضاء– ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعة وإن عبداً حبشياً، فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد " (سنن بن ماجه: ١/ ١٦) .

ومن أروع وأجمل ما ورد في الاستدلال على الرابطة الشريفة ما استنبطه حضرة شيخنا إذ قال رضي الله عنه وعنكم: " فلنتأمل الآن في مزيد من أحكام الكتاب والسنة في هذا الشأن، في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ البقرة: ٢٠٠ – ٢٠١.

أتتنا هذه الآية الكريمة بهذه الأحكام :

أ- الأمر بذكر الله

ب- تجويز ذكرنا آباءنا .

ج- تجويز ذكرنا الناس سوى آبائنا .

د- الأمر بذكر الله ذكراً أشد من ذكر الآباء .

هـ - الأمر بالدعاء لخير الدنيا مع خير الآخرة .

وسياق الآية ومقتضى الحال واضحان كل الوضوح في أن التشبيه بذكر الآباء لا علاقة له بوصف الأبوة على وجه الحصر، بل هو تشبيه لذكر الله تعالى بذكر إنسان كالأب مثلاً .

وكما أن أقل الذكر قد نصّ على جواز تشبيهه وأُمِرَ بمثله في حق الله تعالى، فكذلك الشأن في الذكر الأشد أمراً به وتجويزاً لتشبيهه بما هو أشد من ذكر الآباء مما يكون بين بني الإنسان .

فكأن الآية الكريمة مبنيّة على مثل صنعة الاحتباك، وصورتها: اذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً كذكركم من تذكرونه ذكراً أشد من ذكركم آباءكم . وعلى الحدين تشتمل الآية على تجويز ذكر السالك إنساناً هو شيخه، بيد أن الذكر الروحاني من السالك أشد من ذكره أباه وأتم .

فذكر الله تعالى الأتم الأكمل أيضاً مأمور به، وهو مفضّل على الحد الأقل الذي هو في مستوى ذكر الآباء . والسالك الروحاني إنما يذكر مرشده الروحي لكي يرتقي هو إلى مصاف ذكر الله تعالى ذكراً أقوى وأتم وأكمل من كل ذكر حتى ذكره شيخه .. (معالم الطريق في العمل الروحي الاسلامي: ٣٠٥ - ٣٠٧).

٢- الاعتقاد بالتأثير الروحي الإيجابي ليس حكراً على الربانيين الذين يُعنَون بالتزكية، أو الذين اشتهُروا عند الناس بأنهم روحانيون، بل عمّ جُلَّ علماء الإسلام، حتى أولئك الذين نسب إليهم إنكار العمل الروحي أو فُسّر كلامهم ليوافق أهواء النحل المنحرفة عن جادة الصواب، أو وجدت لهم عبارات فعلاً تدل على الإنكار لكن المتأمل يجدها مناقضة لنصوص أخرى ثابتة عنهم، وهذا قليل ينم عن ضعف الإنسان وتعرضه للخطأ والسهو والنسيان، قال صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم :" كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ " (سنن الترمذي: ٤/ ٦٥٩). أو أنها وردت في طائفة ممن انتحلوا أسماء الروحانيين ظلماً فعممها أهل الأهواء ليشمل الجميع !! فمنذ زمان ليس ببعيد يلصق طائفة من الناس إنكار التأثير الروحي والمقامات والأحوال القلبية لبعض العلماء كأمثال الشيخ ابن تيمية وابن القيم أو لمن يسمونهم بعلماء السلفية، ولا شك أن في هذه النسبة إساءة واضحة لهؤلاء العلماء - رحمهم الله تعالى - بلطفه وجزآهم سبحانه وتعالى بمنّه وعطفه، فالشيخ ابن تيمية - رحمه الله تعالى - يقول في كرامات الأولياء وغيرها من أعمال القلوب: "وكرامات الأولياء حقٌّ باتفاق أئمة أهل الإسلام والسنة والجماعة، وقد دلّ عليها القرآن في غير موضع، والأحاديث الصحيحة والآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين وغيرهم، وإنما أنكر أهل البدع من المعتزلة والجهمية ومن تبعهم" (ينظر مختصر الفتاوى المصرية: ص ٦٠٠).

" وقد تنازع الناس في طريقهم فطائفة ذمّت الصوفية والتصوف وقالوا إنهم مبتدعون خارجون عن السنة، وطائفة غلت فجعلت طريقهم أفضل

الطرق، والصواب أنهم يجتهدون في طاعة الله فمنهم المذنب والتقيّ، وقد صارت الصوفية ثلاث طبقات: صوفية الحقائق، وصوفية الأرزاق، وصوفية الرسوم، فأما صوفية الحقائق فهم الذين وصفناهم - بأنهم يجتهدون في طاعة الله سبحانه - وأما صوفية الأرزاق فهم الذين وقفت عليهم الخوانق والوقوف فلا يشترط في هؤلاء أن يكونوا أهل الحقائق، وأما صوفية الرسوم فهم المقصودون المقتصرون على التشبه بهم في اللباس والآداب الوضعية، فهم بمنزلة الذي يقتصر على زيّ أهل العلم "(مختصر الفتاوى المصرية: ص ٥٧١- ٥٧٢).

" أعمال القلوب التي تسمى المقامات والأحوال، وهي من أصول الإيمان وقواعد الدين، مثل محبة الله ورسوله والتوكل على الله وإخلاص الدين له والشكر له والصبر على حكمه والخوف منه والرجاء وما يتبع ذلك، كل ذلك واجب على جميع الخلق المأمورين بأصل الدين باتفاق أئمة الدين ... وهذه المقامات للخاصة خاصتها وللعامة عامتها "(مختصر الفتاوى المصرية: ص ٥٨٧- ٥٨٩).

" إذا كانت أسبابها مشروعة وصاحبها صادقاً عاجزاً عن دفعها كان محموداً على فعله من الخير معذوراً فيما عجز عنه وأصابه بغير اختياره، وهم أكمل ممن لم يبلغ منزلتهم لنقص إيمانه وقساوة قلبه، ومن لم يزل عقله مع كونه قد حصل له من الإيمان ما حصل لهم فهو أفضل منهم، وهذه حال الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين - وحال نبينا ﷺ، فإنه أسري به ورأى ما رأى من آيات ربه الكبرى وأصبح ثابت العقل لم يتغير، فحاله بلا شك أفضل من حال موسى - عليه الصلاة السلام - الذي خرّ صعقاً لما تجلى ربه للجبل وجعله دكاً، وحال موسى - عليه

الصلاة السلام – حالٌ جليلةٌ فاضلةٌ عليّةٌ، لكن حال محمد ﷺ أفضل و أكمل وأعلى "(مختصر الفتاوى المصرية: ص ٥٧٠- ٥٧١) .

قال شيخي – طيب الله تعالى روحه وثراه –: " هذا ما قاله الشيخ ابن تيمية وذهب إليه، ونحن نقول بجميع ما قاله ونذهب إليه، أما تلميذه المفضال الشيخ ابن قيم الجوزية – وهو كأستاذه قد تعرض اسمه للدس والاستغلال – فلا ينبغي عليّ أن أنقل رأيه في التصوف الإسلامي، فإنه قد ألّف في التصوف كتاب" مدارج السالكين" في ثلاثة أجزاء فينبغي على الرفيق القارئ أن يطلع عليه ويقرأه، ولقدماء الحنابلة فضل في مجال أعمال الروح الإسلامية يذكر إمامان جليلان من أئمتهم لهما قدم راسخة في الروحانية والعمل الروحي أولهما وهو أقدمهما، حضرة الإمام عبد الله بن محمد بن علي الهروي المتوفى سنة٤٨١ الهجرية، وثانيهما مفتي الحنابلة في بغداد حضرة الشيخ عبد القادر الكيلاني المتوفى سنة٥٦١ من الهجرة، وللإمام الهروي كتاب "منازل السائرين" وهذا هو المتن الذي شرحه ابن القيم بكتاب "مدارج السالكين" السالف ذكره، وللشيخ عبد القادر الكيلاني كتاب "الفتح الرباني"، – اللهم اجزهم عن المسلمين خيراً وأنلهم من عندك فضلاً وبرّاً، وأفض علينا أمثال بركاتهم، واسلك بنا مسلك كرامتهم، إنك أنت الكريم الوهاب – ".(معالم الطريق في العمل الروحي الاسلامي: ص ١٦٠) .

وأرى أن الموضوع يحتاج إلى أكثر مما نقلت عن الشيخ ابن تيمية – رحمه الله تعالى –، لما ذكرت سابقاً من استغلال بعض أقواله في المنحرفين من المدّعين وتعميمها على الجميع.

قال – رحمه الله تعالى – : " القلب المعمور بالتقوى إذا رجّح بمجرد رأيه فهو ترجيح شرعي، قال: فمتى ما وقع عنده في قلبه ما يظن معه أن هذا الأمر أو هذا الكلام أرضى لله ورسوله، كان هذا ترجيحاً بدليل شرعي، والذين أنكروا كون الإلهام ليس طريقاً للحقائق مطلقاً أخطئوا، فإذا اجتهد العبد في طاعة الله وتقواه كان ترجيحُه لما رجح أقوى من كثير من الأقيسة الضعيفة والموهومة والظواهر والاستصحابات الكثيرة التي يحتج بها كثير من الخائضين في المذاهب والخلاف وأصول الفقه، وقد قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – : أقربوا من أفواه المطيعين، واسمعوا منهم ما يقولون، فإنهم تتجلى لهم أمور صادقة، وحديث مكحول المرفوع: " ما أخلص عبد العبادة لله تعالى أربعين يوماً إلا أجرى الله الحكمة على قلبه وأنطق بها لسانه ".

وفي رواية: " إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه "، وقال أبو سليمان الداراني: " إن القلوب إذا اجتمعت على التقوى جالت في الملكوت ورجعت إلى أصحابها بطُرف الفوائد من غير أن يؤدي إليها عالمٌ علماً "(مجموع الفتاوى: ٢٠/ ٤٣).

لقد قال النبي – صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم – : " الصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء " (صحيح مسلم: ١/ ٢٠٣).

ومن معه نور وبرهان وضياء كيف لا يعرف حقائق الأشياء من فحوى كلام أصحابها ؟ ولا سيما الأحاديث النبوية، فإنه يعرف ذلك معرفة تامة، لأنه قاصد العمل بها، فتتساعد في حقه هذه الأشياء مع الامتثال ومحبة الله ورسوله، حتى إن المحب يعرف من فحوى كلام محبوبه مراده منه تلويحاً لا تصريحاً.

الـعَـيْنُ تَـعْـرِفُ في عينيْ مُحدِّثِها إن كان من حِزبها أوْ مِنْ أعاديها

(مضاهاة أمثال كليلة و دمنة: ١/ ٢٩)

إنَارَةُ العَقْلِ مَكْسُوفٌ بِطوعِ هَوىً وَعَقْلُ عَاصِي الهَوَى يزداد تَنْوِيراً

(البحر المديد: ٧/ ١٣٤، ومعجم القواعد العربية: ٢/ ٦٤)

وفي الحديث الصحيح: " لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها " (صحيح البخاري: ١٦/ ٣٣٩).

ومن كان توفيق الله له كذلك فكيف لا يكون ذا بصيرةٍ نافذةٍ ونفس فعّالةٍ ؟ وإذا كان الإثم والبر في صدور الخلق له تردد وجولان، فكيف حال مَن الله سمعه وبصره وهو في قلبه ؟ وقد قال ابن مسعود: " الإثم حَوازُّ القلب: جمعُ حازَّةٍ وهي الأُمورُ التي تَحُزُّ في القُلوبِ وتَحُكُّ وتُؤَثِّرُ ويَتَخالَجُ فيها أن تكونَ مَعَاصِيَ لفَقْدِ الطُّمَأنِينَة إليها، (جامع العلوم والحكم: ١ / ٢٥٥، وفصل المقال في شرح كتاب الامثال: ١/ ٣٠٩). وقد قدمنا أن الكذب ريبة والصدق طمأنينة، فالحديث الصدق تطمئن إليه النفس، ويطمئن إليه القلب .

وأيضاً فإن الله فطر عباده، فإذا لم تستحل الفطرة شاهدت الأشياء على ما هي عليه فأنكرت منكرها وعرفت معروفها، وقد قال عمر – رضي الله عنه – : " الحق أبلج لا يخفى على فطن " (الفتاوى: ٢٠/ ٤٤).

فإذا كانت الفطرة مستقيمة على الحقيقة منورة بنور القرآن، تجلّت لها الأشياء على ما هي عليه في تلك المزايا، وانتفت عنها ظلمات الجهالات، فرأت الأمور عياناً مع غيبها عن غيرها .

وفي السنن والمسند وغيره عن النواس بن سمعان عن النبي ﷺ قال:

" ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً وعلى جنبي الصراط سوران، وفي السّورين أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وداع يدعو على رأس الصراط، وداع يدعو من فوق الصراط، والصراط المستقيم هو الإسلام، والستور المرخاة حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، فإذا أراد العبد أن يفتح باباً من تلك الأبواب ناداه المنادي: يا عبد الله ! لا تفتحه، فإنك إن فتحته تلجه، والداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مؤمن " (سنن الترمذي: ٥/ ١٤٤، مسند أحمد: ٢٩/ ١٨٤).

فقد بين في هذا الحديث العظيم الذي مَن عرفه انتفع به انتفاعاً بالغاً إن ساعده التوفيق، واستغنى به عن علوم كثيرة: أنّ في قلب كل مؤمنٍ واعظاً، والوعظ هو الأمر والنهي، والترغيب والترهيب، وإذا كان القلب معموراً بالتقوى انجلت له الأمور وانكشفت، بخلاف القلب الخرب المظلم .

قال حذيفة بن اليمان: " إن في قلب المؤمن سراجاً يزهر" وفي الحديث الصحيح: " وإن الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب " (صحيح البخاري ٤/ ٥٥).

وفي صحيح مسلم رحمه الله تعالى عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: " لأنا أعلم بما مع الدجال منه معه نهران يجريان أحدهما رأي العين ماء أبيض والآخر رأي العين نار تأجج فإما أدركن أحد فليأت النهر الذي يراه نارا وليغمض ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه فإنه ماء بارد وإن الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه

كل مؤمن كاتب وغير كاتب": (٨/ ١٩٥) .

فدلّ على أن المؤمن يتبين له ما لا يتبين لغيره، ولا سيما في الفتن، وينكشف له حال الكذاب الواضع على الله ورسوله، فإن الدجال أكذب خلق الله، مع أن الله يجري على يديه أموراً هائلة، ومخاريق مزلزلة، حتى أن من رآه افتتن به، فيكشفها الله للمؤمن حتى يعتقد كذبها وبطلانها .

وكلما قوي الإيمان في القلب قوي انكشاف الأمور له، وعرف حقائقها من بواطنها، وكلما ضعف الإيمان ضعف الكشف، وذلك مثل السراج القوي والسراج الضعيف في البيت المظلم، ولهذا قال بعض السلف في قوله تعالى: ﴿نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ النور: ٣، قال: هو المؤمن ينطق بالحكمة المطابقة للحق وإن لم يسمع فيها بالأثر، فإذا سمع فيها بالأثر كان نوراً على نور (الفتاوى: ٢٠/ ٤٥-٤٦).

فالإيمان الذي في قلب المؤمن يطابق نور القرآن، فالإلهام القلبي تارة يكون من جنس القول والعلم.

وظنوا أن هذا القول كذب، وأن هذا العمل باطل، وهذا أرجح من هذا، أو هذا أصوب. وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: " قد كان في الأمم قبلكم مُحَدَّثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد فعمر " (صحيح البخاري: ٨/ ٥٨٠، ومسلم: ٧/ ١١٥) .

والمُحَدَّث: هو المُلهَم المُخاطَب في سره، وما قال عمر لشيء: إني لأظنه كذا وكذا إلا كان كما يظن، وكانوا يرون أن السكينة تنطق على قلبه ولسانه .

وأيضا فإن كانت الأمور الكونية قد تنكشف للعبد المؤمن لقوة إيمانه يقيناً وظنّاً، فالأمور الدينية كشفها له أيسر بطريق الأولى، فإنه إلى كشفها أحوج، فالمؤمن تقع في قلبه أدلة على الأشياء لا يمكن التعبير عنها في الغالب، فإن

كل أحد لا يمكنه إبانة المعاني القائمة بقلبه، فإذا تكلم الكاذب بين يدي الصادق عرف كذبه من فحوى كلامه، فتتدخل عليه نخوة الحياء الإيماني فتمنعه البيان، ولكن هو في نفسه قد حذره منه، وربما لوّح أو صرّح به خوفاً من الله وشفقة على خلق الله ليحذروا من روايته أو العمل به .

وكثير من أهل الإيمان والكشف يلقي الله في قلبه أن هذا الطعام حرام، وأن هذا الرجل كافر، أو فاسق، أو خَمّار، أو مغني، أو كاذب، من غير دليل ظاهر، بل بما يلقي الله في قلبه، وكذلك العكس، يلقي في قلبه محبة لشخص، وإنه من أولياء الله، وأن هذا الرجل صالح، وهذا الطعام حلال، وهذا القول صدق، فهذا وأمثاله لا يجوز أن يُستَبعد في حق أولياء الله المؤمنين المتقين .

و" قصة الخضر مع موسى - عليهما السلام - هي من هذا الباب وأن الخضر علم هذه الأحوال المعينة بما أطلعه الله عليه، وهذا باب واسع يطول بسطه، قد نبهنا فيه على نكت شريفة تطلعك على ما وراءها " (مجموع الفتاوى: ٢٠ / ٤٧) .

وما قاله شيخ الإسلام هنا، أكده وأيده تلميذه المحقق الشيخ ابن القيم الجوزية رحمهما الله: في عدد من كتبه، وخصوصاً في كتابه الشهير " مدارج السالكين " .

وأختم بهذا النص الوارد في فتاوى الشيخ ابن تيمية - رحمه الله تعالى - والذي يدل دلالة قطعية على إقرار الشيخ - رحمه الله - بحقيقة الرابطة الشريفة التي وصفتها وإن لم يفصح باسمها، قال - رحمه الله تعالى -:

" فإنك إذا أحببت الشخص لله كان الله هو المحبوب لذاته، فكلما تصورته

في قلبك تصورت محبوب الحق فأحببته، فازداد حبك لله كما إذا ذكرت النبي ﷺ والأنبياء قبله والمرسلين وأصحابهم الصالحين وتصورتهم في قلبك، فإن ذلك يجذب قلبك إلى محبة الله المنعم عليهم، وبهم إذا كنت تحبهم لله، فالمحبوب لله يجذب إلى محبة الله، والمحب لله إذا أحب شخصاً لله فإن الله هو محبوبه، فهو يحب أن يجذبه إلى الله تعالى، وكل من المحب لله والمحبوب لله يجذب إلى الله "(الفتاوى: ١٠ / ٦٠٨).

ملاحظات :

أ – إكتفيت بنقل بعض نصوص الشيخ ابن تيمية – رحمه الله تعالى – لأن كثيراً من المعارضين لا يقتنعون إلا برأيه، وكم كنت أتمنى أن يكونوا منصفين معه – رحمه الله تعالى – أمينين في نقل ما أثبته في مؤلفاته وما استودعه في عقول تلامذته .

ب – ينبغي أن يُعلم أن الشيخ ابن تيمية وتلميذه ابن القيم إنما هُما عالة على ما أثبته الإمام الغزالي – رحمهم الله تعالى –، ولا يعتبر هذا عيباً، بل هو سنة الله تبارك وتعالى في العلم والتعلم، فاللاحق يستفيد من السابق، وتظهر هذه الحقيقة بمجرد التأمل بما كتب الإمام الغزالي وأمثاله – رحمهم الله تعالى – وما كتبه الشيخ ابن تيمية وابن القيم وأمثالهما – جزاهم الله تعالى عن المسلمين بما يليق بكرمه اللائق به جل جلاله وعم نواله – ولتوضيح معنى كلمة " عالة " أنقل ما ورد في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان – رضي الله تعالى عنه – قول الإمام الشافعيِّ– رحمه الله تعالى – : "النَّاسُ عِيالٌ فِي

الْفِقهِ عَلَى أَبِي حَنِيفَة" (تذكرة الحفاظ: ١ / ١٦٨).

ج - الحقائق المستفادة من النصوص المنقولة كثيرة جداً، منها :

١- كرامات الأولياء حق، والإيمان بها واجب، وإنكارها صفة المبتدعين .

٢- الصوفية والتصوف: علماً أنني لا أحبّذ التمسك بهذا الاسم لأنه جنى على الحقائق فأود أن أسميه - التربية الروحية، أو التزكية، أو العمل الروحي - فهذا هو جوهر التصوف وهو من صلب الدين وحقيقته .

٣- المقامات والأحوال من أصول الإيمان وقواعد الدين .

٤- المواجيد والواردات محمودة إذا كانت أسبابها مشروعة، والعكس بالعكس .

٥- القلب المعمور بالتقوى يحق له الترجيح في الفتوى، له قوة الجولان في الملكوت، يأتي بفوائد من غير أن يؤدي إليه عالمٌ علماً، محل للتجليات الصادقة، فتتبين له حقائق الأشياء وتتكشف ولا سيما في الفتن .

وهذا هو الذي حصل في بلدنا لأهل الحق، فبفضل الله تعالى كانت الحقائق منكشفة بشكل أدى إلى حماية الصادقين من الإتباع للأشرار والابتداع في الافكار وحال دون سقوطهم كما سقط الكثيرون في أشياء لا أريد تلويث لساني بذكرها ولا تدنيس قلمي بخطها، ولله المنة والفضل، وأسأل الله تعالى العافية والمغفرة للمسلمين والاستفادة من المرشدين - رضي الله تعالى عنهم وعنكم اجمعين - .

فانظروا يارعاكم الله تعالى وتأملوا جيداً في النصوص المنقولة تجدون أن

الإجماع منعقد من علماء الإسلام - رحمهم الله تعالى - على التأثير الروحي الإيجابي الذي ندعوا إلى الاستفادة منه ليجذبنا إلى الله سبحانه وتعالى، فنكون له موحدين وعلى ذكره مداومين وبرسوله - صلى الله تعالى عليه واله وصحبه وسلم - مقتدين .

❊ ❊ ❊

المبحث الثاني: حكم الرابطة الشريفة

لم يبق من موضوع الرابطة على ما أعتقد إلا ذكر حكمها وبيان بعض ما يتعلق بها، أما حكمها فقد قال شيخنا – رحمه الله تعالى –: "ثم إذا علمنا أن ذكر الله – جل جلاله – واجب مأمور به، وأن المبتغى من الرابطة إنما: هو التوصل إلى أداء هذا الواجب على أتمّ وجه، أدركنا أن الرابطة الروحانية حكمها الوجوب للمكلفين الذين لا يقوون على ذكر الله من دون تقدمة رابطة، والندب لمن يقوون على الحد الأقل من الذكر لكن لا يقوون لوحدهم على الذكر الأتمّ، فإن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وما لا يتم المندوب إلا به فهو مندوب إليه" (معالم الطريق: ص٣٠٧– ٣٠٨).

وبما أن الرابطة الشريفة من أعمال القلوب والطاقات الروحية، فإني أنصح بني البشر بشكل عام والمسلمين بشكل خاص بالعناية الكبيرة بما يثري ثقافتهم الروحية، وذلك بمطالعة أقوال الربانيين من علماء الإسلام القدامى والمعاصرين التي لها علاقة وثيقة بالثقافة الروحية، والإستفادة من أبحاث الأساتذة الذين يعنون بالطاقات الروحية والظواهر التي تجسد عالم ما وراء الطبيعة، فأخذ الحكمة والحرص عليها من صفات المؤمنين كما قال سيدنا رسول الله – صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم – : " الكلمةُ الحِكْمَةُ ضَالَّةُ المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها " (سنن الترمذي: ٥/ ٥١، سنن ابن ماجة: ٣/ ١٣٩٥).

وخير ما اطلعت عليه في الأبحاث الحديثة هو ما في موقع الدكتور عبد

الدائم كحيل: "أسرار القلب" على أني أود أن يُعلم بأن هذه النتائج يستأنس بها، فالأدلة المذكورة في ثنايا أبحاث الرابطة كافية بإذن الله تبارك وتعالى للمؤمنين والمؤمنات .

كما أرجو أن يلاحظ بأن موضوع الرابطة اجتهادي قد تتعدد فيه الأقوال، والأمر فيه سعة والحمد لله، والرابطة من المسائل الذوقية التي يصعب وصفها وربما يستحيل على بعض الأفهام فهمها .

فأقول للمستفهم: أصدق الله تعالى حتى يوردك موارد الأنس بها .

وأنصح أحبابي أن تتسع صدورهم للمستفهمين، فتحمل الأذى في سبيل الله – تبارك وتعالى – من الصور الناصعة والمساحات المنيرة في حياة الدعاة، وإذا كانت هذه الكلمة تثير لغطاً بين المسلمين بسبب كثرة معاول الهدم أو ضعف الثقافة الروحية عندهم فإنه من السهل جداً على الصادقين التنازل عنها أو استبدالها بألفاظ أخرى يمكن الاصطلاح عليها طالما آمنّا بمضمونها .

وأرجو أن يُعلم أن الفائدة الروحية التي عبرت عنها كلمة " الرابطة " لا تنحصر عند فئة ممن يعنون بالتزكية، فقد أجمع الربانيون على نفعها ووصّوا المسلمين بطلب مصادرها، وأروي عن شيخي – طيب الله تعالى روحه وذكره وثراه – سماعاً منه ما يلي: " إعلم يا ولدي أن سيدنا حضرة الشيخ عبد القادر الكيلاني – قدس الله سره العزيز – كان يعمل عملنا هذا " .

ثم تشرّفت بالاطلاع على وثيقة إجازة بالإرشاد بالطريقة القادرية إلى الشيخ محمد أمين من السيد عبد الحميد الآلوسي – قدس سره – في ١٢٨٢هـ الموافق لسنة ١٨٦٥م وإليك نصّها:

الحمد لله الذي أجاز من انحاز إلى حزبه وسلك طريقة ذوي حبه أسنى جوائزه الفاخرة، وأنال من مال عن السوى وأعرض عن سبيل أولي الهوى مقاماً علياً في الأولى والآخرة، والصلاة والسلام على أكمل مرشد بعثه للناس هادياً ولتوحيده داعياً، وعلى آله وأصحابه المريدين لما يريد، الموردين أعدائه بمرهفات الحديد كأسا من وخيم الموت وافياً، أما بعد: فإن ولد قلبي، وحبيب لبي، الورع الزاهد ، والعارف العابد، فرع الشجرة الهاشمية، وفنن الدوحة الفاطمية، المكين الأمين السيد محمد أمين، لما صرف للسلوك على يديَّ في مسالك الطريقة مدة مديدة من نفيس عمره، وبذل في خدمتها والتأدب بآدابها على الحقيقة سنين عديدة من سالف دهره، وتحقق لدي وصوله المطلوب، وانتظامه في سلك أرباب القلوب، وشمول بركته المترددين إليه من أخوانه المسلمين، وتأثير توجهاته في المنتمين إليه من المريدين، وقابليته للإرشاد ولياقته للإمداد، أجزته بالإرشاد في الطريقة العلية القادرية وفق الشريعة الغراء، وأذنت له بتلقين كلمة التوحيد، وتسليك المريد، والتوجه السديد لمن شاء، حسبما أجازني شيخي ذو الفيض الرباني الشيخ عبد الرحمن الطالباني – قدس سره –، عن والده الحليم الأواه رئيس عارفي زمانه بالله الشيخ أحمد – قدس سره –، وهو عن والده ذي الهمم العلية والبراهين الجلية الشيخ محمود – قدس سره –، وهو عن المرشد الكامل والفرد الذي ليس له في عصره مماثل الشيخ أحمد الهندي قدس سره، وهو حسب إجازته الشهيرة بين الخاص والعام الغنية عن تحرير ما لا طائل تحته من ذكر أسماء أولئك السادة الكرام فاضلاً عن فاضل وكاملاً عن كامل إلى حضرة الباز

الأشهب والغوث الأنجب القطب الرباني والهيكل الصمداني سيدي الشيخ عبد القادر الكيلاني - قدس سره وعمنا بره -، وهكذا كابراً عن كابر وطاهراً عن طاهر إلى حضرة قطب دائرة الوجود والدرة الفاخرة البارزة من عيلم كنز الكرم والجود خليفته تعالى في خليقته وأمينه سبحانه على أسرار تجليات حقيقته سيدنا ورسولنا محمد ﷺ وشرف وعظم وكرم، عن جبريل عليه السلام، عن رب العزة - جل جلاله وعم فضله ونواله - .

فأسأله - جل شأنه وعز سلطانه -، بحرمة أسمائه الحسنى ورفعة مقامه الأسنى، أن ينفع المسلمين بصالح دعواته، ويفيض على المريدين شآبيب فيوضات توجهاته، وأنا ضمين لمن صحبه بحسن الحال في الحال والمآل، ولمن لازمه نيل المُنى وبلوغ الآمال، فإن همم الرجال تقلع الجبال .

وأستغفر الله العظيم لي وله ولجميع المسلمين، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

السيد عبد الحميد القادري النقشبندي الآلوسي عفي عنه

ومن أراد الاطلاع على أصل هذه الوثيقة فليتصل بفضيلة السيد الشيخ الدكتور عبد الخالق ناجي السامرائي لأنه من أحفاد الشيخ المجاز .

وبهذا أكون قد أتيت على نهاية بحث الرابطة، جعلها الله تبارك وتعالى لعباده نافعة في الدنيا والآخرة .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين أولاً وأخراً وظاهراً وباطناً .

أمّا بعد إنّا في يحيى القلب والفكر

الخاتمة

بعض نتائج البحث واهم الوصايا:

أ- بعض نتائج البحث:

١- الإيمان بالروح وطاقاته واجبٌ شرعاً .

٢- الاعتقاد بالتأثير الروحي الإيجابي والسلبي مجمعٌ عليه .

٣- العلم الحديث يثبت التأثير الروحي على أنَّه حقيقة علمية .

٤- العمل الروحي لا يشذُّ عن سنن الله تعالى في الحاجة الى الوسائل.

٥- الشيخ ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية رحمهما الله تعالى لا ينكران العمل الروحي وجواز الإستفادة من الصالحين إنما ينكران على المدَّعين، حالهما كحال بقية علماء الاسلام .

٦- الإعتقاد ببصيرة نافذة ونفس فعالة أمرٌ مجمعٌ عليه عند علماء الإسلام .

٧- تصور مخلوق في القلب مع الاعتقاد بأنَّه يجذبك إلى الله تبارك وتعالى ليس شركاً ولا عبودية لغير الله عز وجل، بل وسيلة للقربِ من الله تبارك وتعالى بإذنه .

٨- المدارس الروحية المتشبثة بحبل الكتاب والسنة تدعوا بإجماع للاستفادة من الطاقات الروحية للمرشدين .

ب- أهم الوصايا :

١- العناية بالثقافة الروحية لأنها واجبة على المسلمين والمسلمات.

٢- ينبغي على علماء الامة أن يكونوا في مقدمة من يتثقفون بثقافة الروح ويغرسون اقاحيها في مواضع الخصب من افكارهم لينهضوا بأجيال المسلمين شيبهم وشبانهم .

٣- التريث في إلصاق التهم بأهل الفضل والعلم والتثبت مما ينسب إليهم .

٤- سعة الصدر في قبول الآخر فديننا يقر التنوع المفضي الى الجمال والتكامل.

٥- إبحث عن مرشد موصول اليد بحضرة خاتم النبيين صلى وسلم عليه وعلى آله وصحبه رب العالمين .

٦- تدقيق النظر في النص الأخير المنقول عن الشيخ ابن تيمية - رحمه الله تعالى - ونبذ التعصب للإهتداء لما فيه سعادة الدارين بإذن الله تبارك وتعالى.

❊ ❊ ❊

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١-أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، المؤلف: صديق بن حسن القنوجي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٧٨، تحقيق: عبد الجبار زكار، عدد الأجزاء: ٣.

٢- إحياء علوم الدين ،محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، سنة الولادة ٤٥٠/ سنة الوفاة ٥٠٥، تحقيق ، الناشر دار االمعرفة، مكان النشر بيروت، عدد الأجزاء ٤.

٣- الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم: المؤلف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الناشر: دار الجيل بيروت ودار الأفاق الجديدة ـ بيروت .

٤- الجامع الصحيح سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، عدد الأجزاء: ٥.

٥- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه: المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ .

٦-الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تأليف: محمد بن فتوح الحميدي، عدد الأجزاء / ٤، دار النشر / دار ابن حزم - لبنان/ بيروت - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، الطبعة: الثانية، تحقيق: د. علي حسين البواب .

٧- الجواب الكافي - ابن قيم الجوزية، الكتاب: كتاب الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١ .

٨-الدر المنثور، المؤلف: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، الناشر: دار الفكر - بيروت، ١٩٩٣، عدد الأجزاء: ٨ .

٩- الرسالة القشيرية، المؤلف: القشيري، مصدر الكتاب: موقع الوراق

١٠-الزهد ويليه الرقائق، المؤلف: عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي أبو عبد الله، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، عدد الأجزاء: ١ .

١١- السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، الناشر: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة: الطبعة: الأولى ـ ١٣٤٤ هـ، عدد الأجزاء: ١٠، مصدر الكتاب: موقع وزارة الأوقاف المصرية وقد أشاروا إلى جمعية المكنز الإسلامي .

١٢-السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، سنة الولادة / سنة الوفاة ٢١٣، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، الناشر دار الجيل سنة النشر ١٤١١، مكان النشر بيروت،

عدد الأجزاء ٦-٣.

١٣- الطبقات الكبرى، المؤلف: محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري.

١٤-المستدرك على الصحيحين، المؤلف: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، عدد الأجزاء: ٤، مع الكتاب: تعليقات الذهبي في التلخيص .

١٥-المْعجم الصَّغير للطَّبْرانِيِّ، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان ، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمير، عدد الأجزاء: ٢ .

١٦- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الطبعة الثانية، ١٣٩٢، عدد الأجزاء: ١٨.

١٧- تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا): المؤلف: أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالكي الأندلسي، دار النشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت / لبنان - ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، الطبعة: الخامسة، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، عدد الأجزاء / ١.

١٨- تفسير أبي السعود - أبو السعود، الكتاب: إرشاد العقل السليم إلى

مزايا القرآن الكريم، المؤلف: محمد بن محمد العمادي أبو السعود، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء: ٩.

١٩- تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمود حسن، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الطبعة الجديدة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، مصدر الكتاب: موقع مكتبة المدينة الرقمية، http: / /www.raqamiya.org

٢٠-تفسير القرطبي، مصدر الكتاب: موقع يعسوب، عدد الأجزاء: ٢٠، المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله .

٢١- جامع الأصول في أحاديث الرسول، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، الناشر: مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان، الطبعة: الأولى .

٢٢- جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، [٢٢٤ - ٣١٠ هـ]، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٢٤ مصدر الكتاب: موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، www.qurancomplex.com

٢٣- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥، عدد الأجزاء: ١٠.

٢٤- ديوان البوصيري، من المكتبة الالكترونية الشاملة، الاصدار ٣,١٣، http: //www.shamela.ws

٢٥- روح المعاني - الألوسي، الكتاب: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: محمود الألوسي أبو الفضل، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، عدد الأجزاء: ٣٠ .

٢٦- زاد المسير - ابن الجوزي، الكتاب: زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ؟، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤، عدد الأجزاء: ٩ .

٢٧- زاد المعاد في هدي خير العباد ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى ١٥٧) مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط٧٢ ، ١٤١٥ هـ-١٩٩٤م

٢٨- سنن الترمذي، الكتاب: الجامع الصحيح سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، عدد الأجزاء: ٥ .

٢٩-شعب الإيمان، المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، عدد الأجزاء: ٧.

٣٠- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣ تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عدد الأجزاء: ١٨،

الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها.

٣١- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: بدر الدين العيني الحنفي، مصدر الكتاب: ملفات وورد من ملتقى أهل الحديث ،المكتبة الشاملة الاصدار١٣ , ٣، http: / /www.ahlalhdeeth.com

٣٢- فتح الباري، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار الفكر (مصور عن الطبعة السلفية)، مصدر الكتاب: موقع مكتبة المدينة الرقمية، http: / /www.raqamiya.org.

٣٣- في ظلال القرآن، المؤلف: سيد قطب، مصدر الكتاب: موقع التفاسير http: / /www.altafsir.com

٣٤- لسان العرب، للمؤلف محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، عدد الأجزاء: ١٥، مصدر الكتاب: برنامج المحدث المجاني.

٣٥- مجمع الزوائد. الإصدار ٢ للحافظ الهيثمي، اسم الكتاب الكامل: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧، بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر، المحتويات: جميع الكتاب: الجزء الأول حتى العاشر. جميع الكتاب مدقق مرتين، تم التدقيق الثاني بالمقابلة مع طبعة دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤١٢ هـ، الموافق ١٩٩٢ ميلادي .

٣٦- مجموع الفتاوى، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني المحقق: أنور الباز - عامر الجزار، الناشر: دار الوفاء، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥م عدد الأجزاء: ٣٧ (٣٥ + ٢ فهارس)، مصدر الكتاب: موقع الإسلام.

٣٧- مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية، بدر الدين أبو عبد الله محمد بن علي الحنبلي البعلي، سنة الولادة / سنة الوفاة ٧٧٧هـ، تحقيق محمد حامد الفقي، الناشر دار ابن القيم، سنة النشر ١٤٠٦ - ١٩٨٦، مكان النشر الدمام - السعودية .

٣٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٥٠، مصدر الكتاب: موقع الإسلام .

٣٩- مضاهاة أمثال كليلة و دمنة موافقا للمطبوع، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن الحسين بن عمر اليمني، دار النشر: دار الثقافة - بيروت / لبنان - الطبعة: لا يوجد تحقيق: د. محمد يوسف نجم، عدد الأجزاء / ١ .

٤٠- معالم الطريق في عمل الروح الإسلامي: المؤلف د . عبد الله مصطفى، الطبعة الاولى عمان (د. ن)، ١٩٩٣ .

٤١- معجم القواعد العربية، المؤلف: الشيخ عبد الغني الدقر ،مصدر الكتاب: مكتبة مشكاة الاسلامية.

٤٢- موسوعة الشعر الإسلامي، جمعها وأعدها: علي بن نايف الشحود http: / /www.alwarraq.com

عدد الأجزاء: ٥، مع الكتاب: تعليق محمد فؤاد عبد الباقي .المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: ١ – ١٩٦٨ م، مصدر الكتاب موقع الوراق، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، عدد الأجزاء: ١.

٤٣- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: شمس الدين أبي عبدالله محمد بن قيم الجوزية (المتوفى ٧٥١هـ) تحقيق : بشير محمد عيون ، ط٢ ، مكتبة دار البيان ، ١٤٢٤-٢٠٠٣.

٤٤- الأساس في التفسير المؤلف: سعيد حوى دار النشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٩٩١.

٤٥- نفحات الحياة، المؤلف د . عبد الله مصطفى، الطبعة الاولى بغداد، ١٩٩٥، شركة الفكر للتصميم والطباعة المحدودة .

❊ ❊ ❊

فهرس المحتويات

أ- أهمية القلب..... ١٣
ب- سبب إختيار الموضوع ١٤
المبحث الأول: تعريف الرابطة لغةً ١٩
المبحث الثاني: بعض المواضع التي ورد فيها هذا اللفظ ١٩
الموضع الأول ١٩
الموضع الثاني ٢٢
فالمستفاد من هذه الآيات في موضوع الرابطة..... ٤٢
المبحث الثالث: الرابطة إصطلاحاً..... ٢٤
س١ / هل يجوز أن نستفيد من مخلوق ؟..... ٢٤
س٢ / ما المقصود بالروحانية ؟..... ٢٦
س٣ / هل نؤمن بالروح ؟ ولماذا ؟..... ٢٦
س٤ / كم هي الطاقات الروحية ؟..... ٣٢
س١: من هو المرشد ؟ ٩٤
س٢: هل يصح اطلاق لفظ الكامل على المخلوق ؟ وما يراد به ؟..... ٤٩
س٣: ما هي اهم صفات المرشد ؟..... ٥٠
"التعلم والإرشاد "..... ٥٤
المبحث الثاني: بعض خصائص الروح ٥٩

س١: هل تؤمن بالتأثير الروحي ؟ ولماذا ؟..... ٥٩
أ – بعض أدلة التأثير الإيجابي : ٩٥
ب– بعض أدلة التأثير السلبي : ٣٦
س٢– هل يقر العلم الحديث بالتأثير القلبي ؟ ٦٦
"ذبذبات من القلب" ٦٦
القلب.. يؤثر على قلوب الآخرين ٦٧
القلب.. يؤثر على أدمغة الآخرين ٦٧
ملاحظات : ٨١
المبحث الثاني: حكم الرابطة الشريفة ٨٤

❊ ❊ ❊